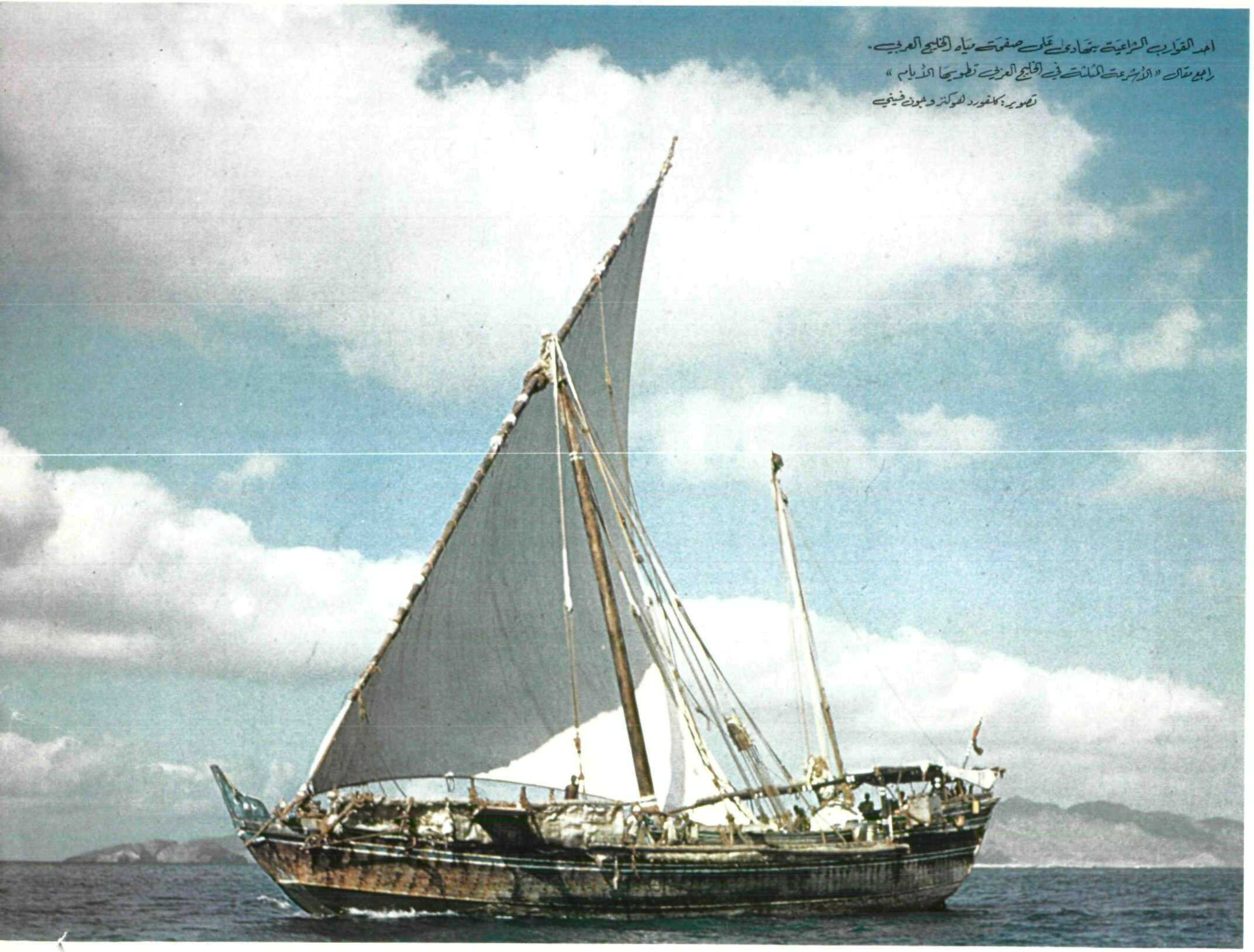


شوال ١٣٩٤ اكتوبر - نوفمبر ١٩٧٤



أحد القوارب الشراعية يتهادى على صفحة مياه الخليج العربي.
راجع مقال «الأشرعة المثلثة في الخليج العربي تطويها الأيام»
تصوير: كلفورد لهوكنز وجون فيني

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدر شهرياً عن «ارامكو» لموظفيها
إدارة العلاقات العامة - توزع مجاناً

العنوان: صندوق البريد رقم ١٣٨٩ - الظهران - المملكة العربية السعودية

قافلة الزيت

المدير العام: فيصل محمد البسام — المدير المسؤول: عبد الله صالح جمعة

رئيس التحرير: منصور مدني — المحرر المساعد: عوني أبو كشك

العدد العاشر — المجلد الثاني والعشرون

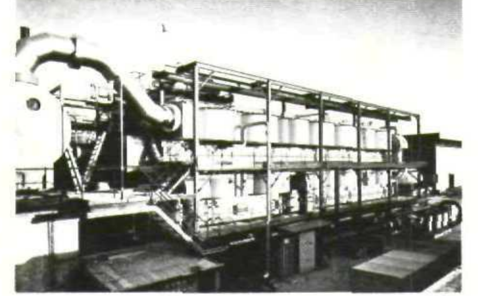
محتويات العدد

بحوث أدبية

العرب وأدب الرحلة .... نجاتي صدقي ٤
الفراش الملهوف (قصيدة) .... طاهر زمخشري ٨
كتاب صبح الأعشى (من حصاد الكتب) .... محمد عبد الغني حسن ٩
رقة طبيب (قصيدة) .... محمد مصطفى الماحي ٢٠
أنت قاس (قصة) .... جاذبية صدقي ٢١
لوحة من معن بن أوس .... عبد العزيز الرفاعي ٣٠
أخبار الكتب ٤٩

بحوث علمية





الزيت في خدمة صناعة المواد الغذائية .... ابراهيم أحمد الشنطي ٢٥
تحلية المياه .... د. مروان راسم كمال ٣١

إستطلاعات مصورة





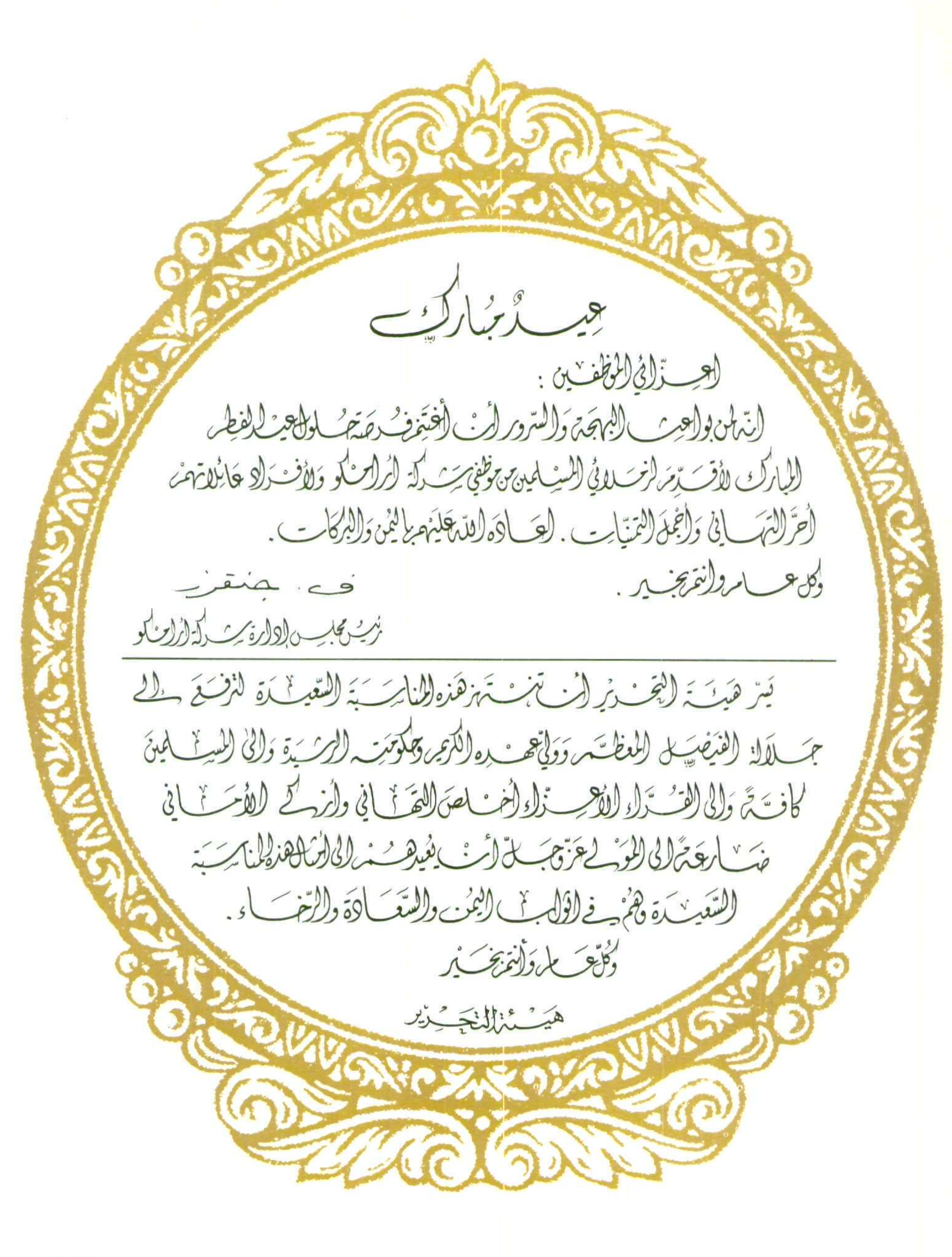
الأشرعة المثلثة في الخليج العربي تطويها الأيام .... سليمان نصر الله ١١
من مصادر التاريخ المصري .... محمد زكي راغب ٣٧

التعليق على صورة الغلاف

لوحة فنية تعبر عن مباهج العيد.
بريشة: عبد اللطيف القباني

- كل ما ينشر في قافلة الزيت يعبر عن آراء الكتاب أنفسهم، ولا يعبر بالضرورة عن رأي القافلة أو عن اتجاهها.
- يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في «القافلة» دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.
- لا تقبل «القافلة» إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها، وهي تؤثر تلقي النسخة الأصلية مطبوعة على الآلة الكاتبة، ومنقحة.
- يتم تنسيق المواضيع في كل عدد وفقاً لمقتضيات فنية لا تتعلق بمكانة الكاتب أو أهمية الموضوع.
- تنقيح المقالات على النحو الذي تظهر فيه يجري عادة وفق ظروف يقتضيها نهج «القافلة»

شركة مطابع المطوع — الدمام
AL-MUTAWA PRESS COMPANY, DAMMAM



عيد مبارك

لأعزائي الموظفين :

انه لمن بواعث البهجة والسرور أن أغتنم فرصة حلول عيد الفطر المبارك لأقدم لزملائي المسلمين من موظفي شركة ارامكو ولأفراد عائلاتهم أحر التهاني وأجمل التمنيات . أعاده الله عليهم باليمن والبركات .

وكل عام وانتم بخير .

ف . جنقز

رئيس مجلس إدارة شركة ارامكو

تسر هيئة التحرير أن تنتهز هذه المناسبة السعيدة لترفع الى جلالة الفيصل المعظم وولي عهده الكريم وحكومته الرشيدة والى المسلمين كافة والى القراء الأعزاء أخلص التهاني وازكى الأماني ضارعة الى المولى عز وجل أن يعيدهم الى امثال هذه المناسبة السعيدة وهم في أثواب اليمن والسعادة والرخاء .

وكل عام وأنتم بخير

هيئة التحرير

العرب وأدب الرحلة

بقلم : الأستاذ نجاتي صدقي

لعل العرب من أكثر شعوب الشرق خبرة في الرحلات والأسفار ويرجع السبب في ذلك الى كونهم حلقة اتصال بين الشرق والغرب براً وبحراً، وقيامهم في مختلف اقطارهم بفريضة الحج السنوية الى الديار المقدسة ، وسعيهم الحثيث في التعرف الى علوم الشعوب وفنونها ان في التاريخ او في الجغرافيا ، والفلك ، والفلسفة ، والرياضيات ، والقصص ، وتوجيههم الوفود الى الملوك والأمراء في شتى الأقطار والأمصار .

وقد تركت هذه العوامل كلها أثرها العميق في قصصهم وحكاياتهم ، وفي نثرهم واشعارهم ، وجعلوا لهم شعاراً يقول: « سافر ففي الأسفار خمس فوائد . . تفريج هم ، واكتساب معيشة ، وعلم ، وآداب ، وصحبة ماجد » .

وفي الأدب العربي ، القديم منه والحديث ، كتب جمة ، وضعها رحالة ادباء ، ومؤرخون ، وجغرافيون ، وقد دونوا فيها ما شاهدوه في رحلاتهم واسفارهم ، وما تعرضوا له من محن واخطار ، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر .

• « أحمد بن فضلان » ، أوفده الخليفة سنة ٩٢١م الى بلاد البلغار حول نهر الفولغا ، الواقعة الى الشرق من روسيا ، ليدرس احوالها، ويقدم له بياناً وافياً عن سكانها وتجارتها ، ومحاصيلها الزراعية .

• « الحسن بن احمد الهمداني » ، المتوفى سنة ٩٤٥م ، تجول في جزيرة العرب ، وله فيها كتاب « صفة جزيرة العرب » .

• « علي بن الحسين المسعودي » ، توفي في سنة ٣٤٥هـ-٩٥٦م ، ولد في بغداد وقام برحلات في الهند والصين ، ومدغشقر ، ومصر ، والسودان ، والشام ، وآسيا الصغرى . . وله فيها كتاب « مروج الذهب ومعادن الجوهر » .

• « ابو الريحان محمد البيروني » (٣٦٢-٤٤٠هـ)(٩٧٣-١٠٤٨م) رحل الى الهند وله فيها كتاب « تحقيق ما للهند » .

• « ابو عبد الله شمس الدين المقدسي » ، ولد في القدس سنة ٣٣٦هـ وتوفي سنة ٣٨٠هـ ، زار البلاد الاسلامية باستثناء الأفغان والهند والأندلس ، وله فيها كتاب « احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » .

• « الشريف الأدريسي » (٣٩٤-٥٦٠هـ) (١١٠٠-١١٦٦م) ، وقد طوف في اسبانيا ، وصقلية ، وله فيها كتاب « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » .

• « الفتح بن خاقان الأشبيلي » ، (٥٢٩هـ-١١٣٤م) ، كان كثير الرحلات ، وله فيها كتاب « قلائد العقيان » .

• « أحمد بن جبير الغرناطي » ، (٥٤٠هـ-٦١٤هـ) (١١٤٥-١٢١٧م) ، رحل الى الديار المقدسة ، فالعراق ، فسوريا ، ومر بصور وعكا ، وبعض جزر البحر الأبيض المتوسط ، وله فيها كتاب « رحلة ابن جبير » .

• « ياقوت الحموي » ، (٥٧٥-٦٢٦هـ) (١١٧٩-١٢٢٩م) ، كان في خدمة تاجر من مدينة حماة السورية . وقام باسفار ورحلات يقتضيها عمله ، وله فيها كتاب « معجم البلدان » .

• « ابو عبدالله محمد الطنجي » المعروف بابن بطوطة (٧٠٣-٧٧٩هـ) (١٣٠٤-١٣٧٧م) ، قام برحلات ثلاث الى المغرب ، ومصر ، والشام ، وبلغ الهند والصين وجاوا والسودان، وهو أول رحالة دخل مدينة تنبكتو في افريقيا ، وله في رحلاته هذه كتاب « تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار » .

• « عبد الرحمن بن خلدون » (٧٣٢-٨٠٨هـ) (١٣٣٢-١٤٠٦م) قام برحلات في شمال افريقيا ومصر واجه فيها المشقات والمتاعب ، وله فيها كتاب « التعريف بابن خلدون » .

• « ابو حامد المازني الغرناطي » (١٠٨٠م-١١٦٩م) ، رحل الى مصر ، وبغداد ، وخراسان ، وحلب ، ووصل الى مدينة بلغار في روسيا سنة ١١٣٦م ، و « شاهد فيها حركة تجارية قوية » وله فيها كتاب « نخبة الأذهان في عجائب البلدان » .

فهذه المؤلفات وغيرها قد اثارت اهتمام المستشرقين الغربيين الى حد كبير ، ونقلوها الى لغاتهم او حققوا فيها وطبعوها بالعربية ، وهي في الواقع ثروة اساسية اصيلة يعول عليها في ادراك كنه حضارات الشرقين الأدنى والأقصى .

فالرحالة العربي الأول هو الملاح العربي الذي اطلق عليه اسم « السندباد » على سبيل المجاز . فخلال القرنين التاسع والعاشر للميلاد ، كان الملاحون العرب يبحرون في مراكبهم شرقاً عبر المحيط الهندي الى الهند ، وسومطرا ، والصين ، ويعودون بحمولات من الحرير ، والعيدان العطرة ، والتوابل ، والحجارة الثمينة ، بالاضافة الى قصص خارقة يروونها ويبالغون فيها بقصد القاء الرعب في قلوب السامعين وجعلهم يحجمون عن مزاحمتهم في تلك المناطق البعيدة عن ديار العرب .

أما حكايات « السندباد » الواردة في كتاب « الف ليلة وليلة » ، فهي مجموعة مغامرات اولئك الملاحين ، ويؤكدون فيها انها حقيقة لا غبار عليها ، ومن ذلك قولهم انهم رأوا « جزيرة الفردوس » تتحول الى حوت كبير وتغطس في اليم اذا ما احست بنيران تشعل على ظهرها ، وترغم « السندباد » والملاحين على مغادرتها للنجاة بأنفسهم .

وشاهد « السندباد » وزملاؤه في رحلاتهم شجرة الكافور التي يتفيأ في ظلها المئات من الرجال ، كما شاهدوا نسوراً هائلة تختطف الفيلة بمخالبها ، وتحط بها في وادي الماس الخفي في الهند !

وقد قيل في الأسفار والرحلات في الأدب العربي الشيء الكثير من ذلك ما ذكره «ميمون بن قيس الأعشى» من شعراء الجاهلية . . فقد رحل الى آل جفنة ملوك الشام ، وآل المناذرة ملوك العراق ، والى اليمن ونجران ، يمدح وينال العطاء ، وكان ينفق كل ما يجتمع اليه من المال في سبيل ملاذه وملاذ صحبه ورفاقه ، وقال لابنته حين أبدت تخوفها عليه من أسفاره :

أفي الطوف خفت عليّ الردى
وكم من رد اهله لم يَرِمْ
أتيت النجاشي في أرضه
وارض النبيط وارض العجم
فنجران فالسرو من حمير
فأي مرام له لم ارمْ
ومن بعد ذاك الى حضرموت
فأوفيت همّي وحيناً أهمْ

وكان لأدب الرحلة في صدر الاسلام نصيب أيضاً ، فمعاوية بن أبي سفيان ، هو اول « رحالة » اسلامي غزا جزيرة قبرص سنة ثلاث وثلاثين هجرية ، في خمسمائة مركب . وقد سبق هذه الرحلة ان الح على الخليفة عمر بن الخطاب ان يجيز له ركوب البحر ، فأحب الخليفة ان يكوّن فكرة عن هذه الرحلة البحرية التي لم يختبرها المسلمون بعد في بداية فتوحاتهم ، فكتب الى القائد عمرو بن العاص يقول له :

« صف لي البحر وراكبه . . » فاجابه يقول : « رأيت في البحر خلقا (بمعنى وعاء او مرجل) كبيراً يركبه خلق صغير . . ان ركد خرق القلوب ، وان تحرك اراع العقول . . تزداد فيه العقول قلة والسيئات كثرة ، والخلق فيه كدود على عود ! . . ان مال غرق ، وان نجا فرق » فلما قرأ الخليفة هذا الوصف كتب الى معاوية يقول : « والله لا أحمل فيه مسلماً ابدا » . . ومع ذلك حقق معاوية أمنيته هذه في ايام الخليفة عثمان بن عفان .

وتتسع رقعة الخلافة الاسلامية ، ويجوب الرحالة العرب أطراف المعمورة على ظهور الركائب وعلى متون المراكب . نختار منهم ثلاثة وهم : « المسعودي » وهو يصف الجبل ، و « ابن جبير » وهو يصف البحر ، و « ابن بطوطة » وهو يصف بعض ما شاهده في شرقي روسيا والصين .

يروي المسعودي في كتابه « مروج الذهب » انه بلغ طبرستان ، الى الجنوب من بحر قزوين ، وصعد على جبل يقوم في بقعة يكثر فيها النفط وغازاته . . قال : « وهذا جبل دنباوند (١) يرى من مائة فرسخ لعلوه وذهابه في الجو ، ويرتفع في أعاليه الدخان والثلوج مترادفة عليه ، غير خالية من أعاليه ، ويخرج من اسفله نهر كثير الماء ، أصفر كبريتي ذهبي اللون . . ومسافة الصعود الى أعلى هذا الجبل في نحو ثلاثة أيام بلياليها ، وان من بلغ قمته وجد مساحة في نحو الف ذراع مربعة ، ومغطاة برمل أحمر تغوص فيه الأقدام ، ولا يعيش فيها أي نوع من الوحوش او الطير لشدة الرياح وسموها في الهواء وشدة البرد . ويرى المشاهد في اعالي هذا الجبل نحواً من ثلاثين ثقباً يخرج منها الدخان الكبريتي العظيم ، ويصدر عنها دوي عظيم كأشد ما يكون من الرعد ، وذلك صوت تلهب النيران . . وبين هذا الجبل وبحر طبرستان (اي بحر قزوين) مسافة عشرين فرسخاً ، والمركب اذا لجت في هذا البحر غاب عنها جبل دنباوند فلا يراه احد ، وهذا دليل على ما ذهبوا اليه من كروية ماء البحر ، وانه مستدير الشكل . . » .

أما « ابن جبير » فيصف رحلته بلغة ادبية تعتمد على الاناقة في سرد الحوادث ، ويستهلها بذكر الباعث لهذه الرحلة فيقول : « ان ابا سعيد عبد المؤمن صاحب غرناطة ، استدعاه ليكتب له كتاباً ، وهو على طعامه وشرابه ، وحثه على تناول ما حرمه الله في كتابه العزيز ، ثم ندم السيد على ما فعل ، وملأ له الكأس من الدنانير سبع مرات ، وصبها في حجره ، فحملها ابن جبير الى منزله ، واضمر ان يكفر عما فعل بأن يقوم برحلة الى مكة المكرمة وبعض اقطار المشرق .

ويصف ابن جبير بداية رحلته بقوله : « وبعد ان فارقنا سردينيا

(١) دماوند من جبال البورز يقع الى الشمال الشرقي من طهران ، ويبلغ ارتفاعه ١٨٥٥٠ قدما .

عصفت علينا ريح هال لها البحر ، وجاء معها مطر ترسله الرياح بقوة ، كأنه شآبيب سهام ، فعظم الخطب ، واشتد الكرب ، وجاءنا الموج من كل مكان أمثال الجبال السائرة ، فبقينا على تلك الحال الليل كله ، واليأس قد بلغ منّا مبلغه ، وجاء النهار بما هو أشد هولاً واعظم كرباً ، وزاد البحر اهتياجاً ، واربدت الآفاق سواداً ، واستشرت الريح والمطر عصوفاً ، حتى لم يثبت معها شراع ، فحينئذ تمكن اليأس من النفوس وارتفعت أيدي المسلمين بالدعاء لله عز وجل . . » .

وأما « ابن بطوطة » ، فهو رحالة لا يعنى بالاسلوب الأدبي كثيراً ويروي رحلته سرداً واقعياً ، ويمليها على كاتب مغربي اسمه « محمد ابن جزى الكلبي » ، ويتحدث فيها عن بلاد الروس الشرقية ، هي مملكة الفولغا البلغارية ، أوكاما بلغاريا ، وكانت عاصمتها في القرن الثاني عشر مدينة بلغار ، وتعرف اليوم باسم قازان . . قال : « بعد ان حللت في بلاد المغول ، سمعت بمدينة بلغار ، فتوجهت اليها لأرى ما ذكر عنها من انتهاء قصر الليل بها وقصر النهار أيضاً ، على عكس ذلك الفصل ، وهي تبعد عن محلة السلطان المغولي مسيرة عشرة أيام ، ووصلتها في شهر رمضان ، واقمت فيها ثلاثة أيام . . وكنت اريد الدخول أيضاً في أرض الظلمة (أي سيبيريا) والدخول اليها من بلغار ، والسفر اليها لا يكون الا في عجلات صغار تجرها كلاب كبار ، لأن تلك المفازة فيها الجليد فلا تثبت قدم الآدمي ، ولا حافر الدابة ، والكلاب لها أظافر فتثبت اقدامها في الجليد الخ » .

وليس ما يدعو الى الشك في زيارة ابن بطوطة لبلاد البلغار الروسية ، ما دام قد حصر غرضه منها « مشاهدة ظاهرة طبيعية ولمدة ثلاثة أيام فقط »

ورحلة ابن بطوطة هذه كانت اكثر شمولاً من الرحلات العربية الأخرى ، فهي تمتد من أقاصي افريقيا الى اقاصي الصين ، وتتضمن معلومات رائعة عن شعوب غير عربية وغير اسلامية ، وتفتح امام الجغرافيين والمؤرخين آفاقاً واسعة . . ومما جاء في رحلته عن الصين قوله : « واهل الصين لا يتبايعون بدينار ولا درهم ، وانما بيعهم وشراؤهم بقطع كاغد ، كل قطعة منها بقدر الكف ، مطبوعة بطابع السلطان ، وتسمى الخمس والعشرون قطعة منها بـ (بالشتْ) وهو بمعنى الدينار عندنا . . واذا تمزقت تلك الكواغد في يد انسان ، حملها الى دار كدار السكة عندنا ، فأخذ عوضها جدداً .

أما التصوير فلا يجاريهم فيه أحد من الروم ولا من سواهم . . ومن عجيب ما شاهدت اني ما دخلت مدينة من مدنهم ثم عدت اليها الا ورأيت صورتي وصورة أصحابي منقوشة في كاغد قد الصقوه بالحائط . وذكر لي ان السلطان امر الرسامين بذلك ونحن في قصره فلم نشعر بهم ، وتلك عادة لهم في تصوير كل غريب حتى اذا فعل أمراً يوجب فراره بعثوا بصورته الى البلاد للبحث عنه وأخذه » .

ثم كانت الرحلة موضوعاً لكثير من الأدباء والشعراء في العصور الاسلامية المبكرة والمتأخرة ، فتحدثوا عنها بأبيات من الشعر ، كما فعل الأعشى في الجاهلية ، نذكر منهم أمية بن أبي الصلت الذي قال في استعداده الفطري للرحلة والاغتراب :

اذا كان اصلي من تراب ، فكلها
بلادي ، وكل العالمين أقاربي

أما « ابو العلاء المعري » فقد رحل الى العراق ، فهاجه الشوق الى دياره ، واعرب عن خاطرته هذه بقوله :

يا ماء دجلة ما اراك تلذ لي
شوقاً كماء معرة النعمان

ويقول ابو تمام بهذا المعنى ايضاً :

كم منزل في الأرض يألفه الفتى
وحنينه أبداً لأول منزل

ويقول البحتري في الرحلة :

شرّق وغرّب فعهد العاهدين بما
طلبت في زملان(٢) الأينُق(٣) الذّلل(٤)
ولا تقل : امم شتى ، ولا فرق
فالأرض من تربة ، والناس من رجل

اي ان المرء ان يرحل شرقاً وغرباً ليحقق رغباته في طلب الرزق والمعرفة ، ممتطياً ناقة سهلة القياد ، ولا يحاول اقناع نفسه بان اختلاف الأمم واللغات يحول دون ذلك ، فما العالم الا ارض واحدة ، وما الناس الا رجل واحد .

ويقول المتنبي في الرحلة :

أوانا في بيوت البدو رحلي
وآونة على قتد البعير
أعرّض للرماح الصّم نحري
وانصب حرّ وجهي للهجير
واسري في ظلام الليل وحدي
كأني منه في قمر منير

أي ان على المرء الذي يطلب الشهرة والعلا الا يقبع في مكان واحد بل عليه ان يرحل في آفاق الدنيا الواسعة ليلاً ونهاراً ، غير آبه لما يعترض سبيله من صعاب ومخاطر .

ويقول"ابن رشيق القيرواني"، وقد تصور الرحلة مثل القمر في غيابه وطلوعه :

غب عن بلادك وارج حسن مغبة
ان كنت حقاً تشتكي الاقلالا
فالبدر لم يجحف به ادباره
أن لا يسافر يطلب الاقبالا

(٢) تهادي في السير (٣) من الجمع في الناقة (٤) هان وسهل قياده .

ويقول « ابن عنين » وهو من شعراء القرن الثالث عشر للميلاد ، يقول في كثرة اسفاره في المشرق :

أشقق قلب الشرق حتى كأنني
افتش في سودائه عن سنا الفجر

وجاء على لسان احد الشعراء وهو يحلم بالرحلة :

الا ليت شعري ، هل ابيتن ليلة
بوادي القرى اني اذاً لسعيد

ويحتل ادب الرحلة مكانه البارز في الأدب العربي للأزمنة الحديثة أيضاً ، فقد ذكر « أحمد فارس الشدياق » (١٨٠٥م-١٨٨٧م) في وصف رحلته الى جزيرة مالطة ، قال : « اما اهل القرى فان الرجال منهم يثقبون اذانهم ويتقرطون باقراط من الذهب ، ويرخون سوالف مجعدة من أفوادهم الى طلاهم ، وهاتان الصفتان من صفات الاناث، ويلبسون طرابيش مختلفة الألوان مسدلة على اكتافهم وهي شبيهة بالأجربة ويمشون حفاة ، ويتحزمون بأحزمة ، ومنهم من يتختم بعدة خواتم من الذهب .

وللنساء المالطيات زهو في المشي . . فترى المرأة تخطو كالعروس المزفوفة الى بعلها ، وهي ممسكة بطرف الوشاح باليد اليسرى ، وبطرف غطاء رأسها باليد اليمنى ، فمتى أوين الى بيوتهن لبسن أخلق ما عندهن من الثياب » .

وممن كتبوا في الرحلة الكاتب اللبناني « سليم بسترس » ، صاحب كتاب « النزهة الشهية في الرحلة السليمية » لسنة ١٨٥٦م قال : « الحمد لله الذي رفع القبة الخضراء ، وبسط الكرة الغبراء ، حمداً يدوم ما جرت النجوم في الهواء والسفن في الماء .

أما بعد فيقول العبد الفقير سليم بن موسى بسترس انني بينما كنت مشتاقاً الى السياحة في البلاد الافرنجية وما يليها من الأطراف لمشاهدة تلك الديار المملوءة من التهذيب والنظام، اصطحبت ابن عمي حبيباً لمؤانستي والملاحظة عليّ في مطاوح الغربة، فنزلنا معاً في سفينة البخار المعروفة « بالفابور »، وذلك في اليوم السابع والعشرين من شهر مارس سنة ١٨٥٥م . وسرنا عن مدينة بيروت في الساعة الثالثة من الليل حتى أقبلنا صباحاً على مدينة حيفا، وكان منظرها مع شروق النهار جميلاً في الغاية . وفوقها جبل الكرمل المشرف على سهل واسع قد اكتسى بالنبات الأخضر .

ولما كانت الساعة التاسعة من النهار أقبل « الفابور » على مدينة يافا فالقى مراسيه على بعد من الميناء ، وهي مدينة متجرية تحوي مقدار تسعة آلاف نفس ، وكان منظرها جميلاً لأنها مبنية على تلة وابنيتها عالية كثيرة الطبقات».

ثم يصف الاسكندرية وبعض جزر المتوسط ، ويحل في نابولي بايطاليا فيقول فيها :

طفت البلاد فما وجدت نظيرها
ثغراً ضحوكاً بالمحاسن مشرقا
أضحت تحاكي جنة في ارضنا
فاقت على مدن البسيطة رونقا

ويوفي « بسترس » رحلته حقها فيصف كل شيء يشاهده في ايطاليا وفرنسا وصفاً ممتعاً ، مثله في ذلك مثل الرحالة العرب القدامى . وقد قرظ الشيخ « ناصيف اليازجي » هذه الرحلة بقوله :

يا حسنها من رحلة تغنيك عن
تعب الرحيل وغربة المتغرب
فيكون فكرك في البلاد مسافراً
ويكون جسمك ثابتاً لم يذهب
لله منشئها اللبيب فانه
شرح الصدور بشرحه المستعذب
يعطيك مرآة البلاد جلية
فترى بها المحجوب غير محجب
فكأنه نقل البلاد اليك او
انت انتقلت الى بلاد المغرب

وهناك عدد آخر من الأدباء والشعراء في القرن العشرين قاموا برحلات خاصة الى اوروبا والشرق ، وكتبوا او نظموا فيها مثال : المويلحي ، وشوقي ، وجبران ، والريحاني ، ونعيمة ، وعزام ، وهيكل ، ومبارك ، وأرسلان وغيرهم .

أما الشاعر « امين نخلة » فقد أحب الرحلة أدبياً وله فيها كتاب « أوراق مسافر » ، قال فيها : « انما السفر هو الذي يغسل الأرواح ويمسح على المؤاخذة ، ويستل سخط الصدور ، ويردها صافية وادعة ، ويبعث الحب للديار واهل الديار ، من كل قريب منهم وبعيد .

وان اسعد المسافرين من لا يرى السفر مراقبة وكشفاً واختباراً وتأملاً ملياً ، بل يراه للنظر القريب الخاطف ، ليس غير » .

وقيل في الأمثال عن الرحلة : « من أحبه ربه اراه ملكه » .

ومن كلام العرب : « ان العيون تسافر في محاسن وجهها » .

ويقول ابن ماجه : « من الدعوات التي يستجاب لها دعوة المسافر » .

وتستعمل الرحلة في التشبيه فيقال : « فلان ذائع الصيت . . او طار ذكره في الآفاق . . وفلان لا تسعه الدنيا من الفرح » . .

زد على ذلك ان حكايات « الف ليلة وليلة » قد زودت الفكر العربي برحلات خيالية وسعت المخيلة العربية بماحوته من تراث ادبي ■

نجاتي صدقي — بيروت

الفراش الملهوف

للشاعر: طاهر زمخشري

يا رفيق الهوى . . على هُدبك الراقص نجمٌ ينير بالومضاتِ
بابليٌّ ، مشعوذٌ بالترانيم يبث الأسحار بالنظراتِ
عبقريٌّ الاشعاع ، يستنفر الفتنة ، يذكي مجامر الصّبواتِ
غَرِدٍ باللحاظ تبسم فيه ولنا الويل من لحاظه الغرداتِ
وبايمائه منابع اشراقٍ ، ومجلى سناه في الغمزاتِ
لا يجيد الحديث الا متى كان غريقاً في سرحةٍ او سباتِ

* * * * *

والدجى رابضٌ على احرف الجفن ينادي للحب بالحركاتِ
والصدى كالضباب ، في الليلة القمراء يغزو كتائب الظلماتِ
كلما اصطاد خافق يتغنّى ويذيب الحبّات في البرداتِ
والفراش الملهوف ، قلبي الذي اجتاز دروب الحياة بالخفقاتِ
غرّد الحسن فاستراح الى الظرف ، وما في اللحاظ من بسماتِ
ودعاه الى هواه ، فلبّاه وشق الطريق بالزفراتِ
بالوجيب الملتاع ، باللهفة الظّمآى بما في الصميم والطيّاتِ
بالأماني التي تنير له الدرب ، وتروي الشعور والنبضاتِ
وهو منه له ، يطير به الشوق على رفرف من الأمنياتِ
وبما فيه من معان سيحيا في ظلال الرضا وصفو الحياة !!

طاهر زمخشري — جدة

كتاب صبح الأعشى

بمناسبة صدور فهارسه

بقلم: الأستاذ محمّد عبدالغني حسن

ظفرت المكتبة العربية أخيراً بكتاب حديث الطبع عنوانه: «فهارس كتاب صبح الأعشى، في صناعة الانشاء» للمؤرخ الموسوعي المعروف أحمد أبي العباس القلقشندي المتوفى سنة ٨٢١هـ. وهو من تصنيف واعداد الاستاذ محمد قنديل البقلي. والحق ان ظفر المكتبة العربية اليوم بكتاب «فهارس صبح الأعشى» يعد فتحاً كبيراً لكتاب جليل كان مغلق الأبواب، مسدود الرحاب، على الرغم من ضخامة حجمه وعظم جرمه، واتساع مادته، وتنوع موضوعاته، وأهميته البالغة للمؤرخ العربي، والباحث والدارس، والمهتم بالتاريخ الاداري والسياسي والديواني والاقتصادي والمالي، والزراعي والاجتماعي للمجتمع العربي في مصر والشرق العربي، منذ الفتح الاسلامي لمصر والشام، حتى أوائل القرن التاسع الهجري. لقد كان كتاب «صبح الأعشى» للقلقشندي يحير القارىء له والباحث فيه، بما يضمه بين دفتي أجزائه الأربعة عشر من المادة التاريخية الوافرة والمعلومات النادرة، والوثائق الادارية الهامة، والرسائل والمكاتبات السلطانية التي لم يشتمل عليها كتاب آخر في التاريخ العربي مهما كان قدره، والتي تغطي تاريخ المجتمع الاسلامي في شطر هام من الشرق العربي لبضعة قرون...

فالباحث عن اشكال ملابس الجند، وهيئات سلاحهم، وعن مواكب تنصيب الخلفاء والسلاطين ومراسمها البديعة الجذابة، وعن حفلات استطلاع هلال رمضان، وموائد الافطار فيه، وسماط العيدين، ومواكب وفاء النيل وسد الخليج، وملاعب السباق وميادين الألعاب الرياضية، وأشكال العمائم والقلانس والثياب ومراكب الدواب والمطايا للمسلمين وأهل الذمة، وغيرها من مظاهر المجتمع العربي وتقاليده وأعرافه — الباحث عن ذلك كله يجد في «صبح الأعشى» ضالته، ويصادف بين أجزائه الكبيرة حاجته. ولكنه كثيراً ما يعييه البحث، ويضنيه التنقيب عما يريده من جمع المادة العلمية المبعثرة لموضوع بحثه. والسبب في هذا الاعياء الذي كان يصادف الباحثين والمؤرخين المحدثين، أن كتاب «صبح الأعشى» لم تكن له فهارس تفصيلية تحليلية تلم أشتات تلك المادة الحافلة التي يزخر بها الكتاب. وكثيراً ما كان الباحث عن موضوع اداري، او ظاهرة اجتماعية أو مسألة معينة كالبريد العربي الاسلامي وتاريخه، والحمام الزاجل واستعماله في المراسلات وابراجه ومطاراته والمناور التي كانت تستعمل في استطلاع حركات العدو، والاقطاعات وأصلها ونشأتها وأنواعها، وأحكامها، وعقود الأمان لأهل الاسلام والكفر واهل الذمة، والمعاهدات والمهادنات منذ مهادنات النبي عليه السلام، وعهوده الى المهادنات مع الصليبيين والفرنجة وغيرهم — كثيراً ما كان الباحث عن هذه الموضوعات الهامة وأمثالها يضل في متاهات هذا الكتاب الضخم فلا يجد فهارس تحليلية تسعفه ولا يجد مسارد تنجده. وفي النهاية لا يجد مناصاً من أن يقلب الكتاب بين أصابعه ورقة ورقة، وصفحة صفحة، ويجمع من هذه الأشتات المتناثرة المادة العلمية الأخيرة لموضوع بحثه، ومناط دراسته، بعد أن يكون قد أضاع كثيراً من الجهد والوقت، وبذل كثيراً من ماء العينين، في لم الاشتات، وجمع الشتات، وضم المتفرقات.

ومن هنا كان البحث في كتاب «صبح الأعشى» عملاً مضنياً، وشيئاً مرهقاً. وكثيراً ما كان يصرف الباحثين عن خوض غماره، ويصد الدارسين عن تقحم أغواره، فيرجعون وفي النفس حسرة على ان هذا المحيط الزاخر، والعباب الجياش بالمعلومات والمعارف، لم يذلله باحث واحد بعمل فهارس تغني عشرات المئات من الباحثين والدارسين عن جهد شاق طويل قد لا يرجعون منه بكبير طائل...

وما زلت أذكر الشكاوى المريرة ، والحسرات الموصولة التي كان يبديها أكثر علمائنا ومؤرخينا من ان هذه الموسوعة التاريخية الضخمة لم يتهيأ لها منذ صدورها عن دار الكتب المصرية – فيما بين سنتي ١٩٠٣–١٩١٩م من يخرج لها فهرساً تفصيلياً يحقق الفائدة المرجوة منها ، ويدني ثمارها من قاصدي جناها والمتطلعين الى قطوفها . فهذا هو المؤرخ الأستاذ محمد عبدالله عنان – كاشف النقاب عن تاريخ الأندلس في موسوعته الأندلسية الكبرى – يقول من سنوات عن كتاب « صبح الأعشى » : (بيد انه اخرج مع الأسف خلوا من فهرس حديث شامل يدل على نفائسه ورقائعه ، ويوفر على الباحث مشقة التنقيب المضني . .)

وما كان صوت الاستاذ محمد عبدالله عنان الا تعبيراً صادقاً عن أصوات كثيرة لباحثين كثيرين لقوا متاعب كثيرة في خلال بحثهم في مفاوز هذا الكتاب الفسيح ، وفي عباب هذا المحيط الزاخر ومتاهاته . .

وعلى كثرة ما نعلم من حرص المستشرقين على صنع الفهارس التحليلية للمخطوطات العربية وكتب التراث – كما صنعوا مثلاً في كتاب « الأغاني » ، و « تاريخ الطبري » وفي كتاب « الطبقات الكبرى » لابن سعد ، وكتاب « الولاة والقضاة » للكندي ، وغيرها من مئات الكتب التي نشروهـــا فانهم لم يتناولوا فهرسة هذا الكتاب .

ولقد كنت أعلم أن أديباً محققاً هو الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعي كان مشغولاً بعمل فهارس لكتاب «صبح الأعشى» ، حتى بدا ذلك من خصائصه . . . ولكن يظهر ان ظروفاً غير مواتية لم تعنه على تحقيق بغيته . ولم يطل بنا الانتظار – أو طال – حتى أصدر الأستاذ محمد قنديل البقلي هذه الأمنية على أحلى ما تكون الأماني المحققة . فظهر كتاب « فهارس كتاب صبح الأعشى » عن دار « عالم الكتب » التي تولت نشره على الرغم من صعوبات الورق والطبع والوسائل . . . وبهذا أصبح كتاب صبح الأعشى مورداً موطأ الأكناف ، ومصدراً ميسر المنال والتحصيل لكل باحث ودارس .

والحق ان صانع هذه الفهارس البديعة ومعدّها ومنسقها ، قد افتن في تسهيل البحث والتنقيب على طالبها الى أبعد الحدود . . . ففي فهرس المسميات للآلات والأدوات والنبات والشجر ، والحيوانات والطيور والأعياد والمعاملات والملابس والأحجار والمعادن – يتوسع في تفريعات المواد ، ففي مادة « اقبية » – مثلاً – لا يكتفي بأن يضع كل أنواع الأقبية تحت مادة « أقبية » ، ولكنه يفصل المادة ويفتقها . . فيضع الأقبية الاسلامية ، والأقبية التترية ، وأقبية الديباج ، وأقبية طرد الوحش ، والأقبية القصيرة الأكمام . وفي مادة « دراهم » يفصل أنواع الدراهم التي وردت بين دفتي الكتاب كله ويجعل لكل نوع مادة فرعية خاصة به ، وأرقاماً للاحالة على صفحاتها من هذه الموسوعة الضخمة . فهناك الدراهم الأحدية ، والدراهم الجدد والدراهم الخفاف المدورة ، والدراهم الزيوف – أي المزيفة – والدراهم السوداء والدراهم العتق ، والدراهم المصرية ، والدراهم المكروهة ، والدراهم النقرة ، والدراهم الهرقلية نسبة الى هرقل امبراطور الرومان .

وهذا التوسع والتوسيع والافاضة في صناعة الفهارس لكتاب « صبح الأعشى » ليس ترفاً ولا تزيداً ، ولا تكثراً ، ولا رغبة في تضخيم الفهارس ، ولكنه في الحق مروءة علمية من الاستاذ المصنف محمد قنديل البقلي ، الذي أراد ان يسهل على الباحث والدارس مهمة البحث والتنقيب الى ما ليس وراءه غاية في التسهيل . . . فهو قد أضنى نفسه وعنّاها كثيراً ليريح غيره من أهل البحث والدرس . وهذا ضرب من فضيلة الايثار لا نجده الا عند المخلصين من الأدباء والمؤلفين .

وبعد ! فقد قلنا هنا كلمة عن كتاب (فهارس صبح الأعشى) ، فهلا نقول كلمة عن « صبح الأعشى » نفسه ؟ ان هذه الموسوعة التي ألفها ابو العباس القلقشندي – على ثراء في الوثائق بحكم منصبه في ديوان الانشاء – تعد أوثق وأجمع وأوسع مصدر عربي عن نظم الحكم والادارة ، والسياسة ، والاقتصاد والمسالك والممالك ، والمكاتبات الرسمية ، والولايات والخلافة والسلطنة ، والبيعات والعهود ، والمواكب والعادات والتقاليد والملابس في الشرق العربي منذ العهود الأولى للاسلام . وهناك مسائل كثيرة لا نجدها في كتاب آخر غير صبح الأعشى . فقد أتيح للرجل – بحكم عمله في ديوان الانشاء – ما لم يتح لغيره ، حتى اجتمع له بذلك مادة وفيرة زاخرة كانت هي المادة الأولى لكتابه الضخم الفريد . وان كنا نجد في كتاب «التعريف بالمصطلح الشريف » لابن فضل الله العمري المؤرخ والجغرافي المشهور وصاحب كتاب « مسالك الأبصار » بعض مصطلحات العصر المملوكي ، وبعض المراسيم والمكاتبات الدولية بين العالم العربي والعالم الخارجي . واذا كانت أمثال هذه المؤلفات المبسوطة الجليلة هي من اشارات بعض ملوك العرب والمسلمين على رجال العلم في عصرهم ، فان هذا يدلنا على ما كان للحكام من فضل كبير في توجيه حركة المعرفة والتأليف في بلادهم ، وهو فضل يذكرنا بما لملوك العرب المعاصرين من مشاركة في هذا السبيل .

ولقد تفطن الغربيون من رجال الاستشراق الى قيمة مثل هذه المؤلفات الجليلة وأهميتها للمشاركة في تقدم البحث والدرس ، فترجموها كلها او أجزاء منها الى لغاتهم الأوروبية . فالمستشرق الالماني « وستنفيلد » يترجم قطعة من « صبح الأعشى » الى الالمانية وهي قطعة تتصل بجغرافية مصر ونظمها الادارية . والمستشرق البلجيكي « لامانس » يترجم منه قطعة أخرى خاصة بالرسائل المتبادلة بين حكام العرب وامرائهم ، وبين رجال الدول النصرانية في عهد الايوبيين والمماليك . والمستشرق الفرنسي « سوفير » يترجم منه الى الفرنسية قطعة أخرى خاصة بالمكاتبات العربية .

ويكفي أن نلقي نظرة عجلى على فهارس أنواع المكاتبات الصادرة عن دواوين الانشاء في مصر والشام لنجدها تفترق الى ثلاثين نوعاً ما بين الاجازات ، والأمان ، والايمان ، والتفاويض ، والتقاليد ، والتهاني ، والتواقيع ، والخطب ، والرسائل ، وعقود الصلح ، والعهود ، والمبايعات والمراسيم والمسامحات ، والمقامات ، والمنشورات والمهادنات ، والوصايا وغيرها .

ويكفي ان يكون لهذه الأنواع الثلاثين في « صبح الأعشى » نماذج متباينة ، تمثل طائفة من العصور ، لطائفة من الخلفاء والسلاطين . ويكفي ان تكون نسخ هذه النماذج الكثيرة المتعددة مفهرسة في هذا الكتاب الجديد .

أما فهارس الأعلام والشعوب والأمم والقبائل والأماكن والمصطلحات ، والمسميات ، والآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والشعر – أبياتاً وانصاف أبيات – والأمثال ، والكتب القديمة التي أورد القلقشندي أسماءها وأسماء مؤلفيها في نص الكتاب الأصلي – فهي المفتاح السهل الميسر لكتاب « صبح الأعشى » الذي كان مغلقاً في وجوه الباحثين والطلاب ، فأضحى سهل المطلب ، قريب المنال ، مفتح الأبواب ■

محمد عبد الغني حسن – القاهرة

الأشرعة المثلثة في الخليج العربي .. تطويها

مُنْذُ أنْ اقْتَحَمَ الإنسانُ البَحْرَ بمراكِبه البدائِيّة ، كانَتْ مِياه الخَليج الزُمُرّدِيّة الدافِئة تَسْتَقبل ضُروبًا مِن المراكِبِ الشِراعيّة أشكالاً وألوانًا وكَانَتْ هَذِهِ المراكبُ فيما مَضى هَمْزة الوَصْلِ بَيْنَ حَضاراتِ الشَرق وَالغرب ، تحمِل إلى العالَمَ القَدِيم السّلعَ الثمينَة كالبخُور ، وَالمُرّ ، واللّبان ، وَالأفاوِيه ، والحرَير ، وَالعطُور ، والتمُور ، واللآلِئ ، والأحجار الكريمَة . وَلَمْ تَلبَثْ هَذِهِ المراكبُ طويلاً بعْدَ أنْ عَرفَ الإنسان الآلَة ، حيْثُ طوَتْها صفحاتُ التاريخ ، لِتُصْبحَ ذِكْرياتِ مَاضٍ مُمتِعٍ مُثِير .





لعب الخليج العربي دوراً بارزاً في أحقاب التاريخ اذ كان بمثابة همزة وصل بين الغرب والشرق الأقصى . فمن شطآنه سيّر العرب قديماً أساطيلهم لتجوب البحار النائية تحمل للعالم الخيرات التي كانت تحتوي على الشيء الكثير ، ومنها على سبيل المثال الحرير والتوابل والطيوب والبخور . ومن شطآنه أيضاً أقلعت سفن الملاحين العرب الأوائل الذين كان ولا يزال لهم الفضل في وضع الأسس العلمية للملاحة في الوقت الذي كان فيه الغرب لا يعرف عن الملاحة البحرية الا النزر اليسير .

عندما تعود الى المصادر التاريخية في محاولة لمعرفة متّى بدأ الانسان العربي نشاطه البحري في الخليج العربي بالتحديد ، فانك لا تظفر بشيء ، أضف الى ذلك انواع المراكب البدائية التي استخدمها في محاولاته الأولى لاقتحام البحر ، ومع كل ذلك فان المصادر نفسها توقفنا على شواهد كثيرة تشير الى أن الملاحة في الخليج تمتد جذورها الى عصور موغلة في القدم ، في وقت يرجح فيه أن البحر المتوسط لم تمخر عبابه أية سفينة آنذاك . ويقال ان الفينيقيين ، وهم من الكنعانيين ، أول الأقوام السامية التي مارست الملاحة في الخليج . كان ذلك في الألف الرابع قبل الميلاد تقريباً عندما استوطنوا في باديء الأمر سواحل الخليج بعد نزوحهم من قلب الجزيرة العربية ، ولا سيما في الجبيل ، وجزيرة « تيروس » المعروفة الآن باسم « تاروت » وجزيرة « تايلوس » اي البحرين ، وجزيرة « آراد » أي عراد من جزر البحرين .

من المعروف ان الفينيقيين قد تميزوا عن غيرهم من الأمم القديمة بالطموح والاقدام والمغامرة فركبوا البحر وحصروا اهتمامهم في الملاحة والتجارة البحرية . ولم يقتصر نشاطهم التجاري على مياه الخليج العربي ، بل كان البحر المتوسط بحيرة فينيقية ، عندما أقاموا لهم على سواحله وفي جزره مدناً ومستوطنات عديدة تشبه في اسمائها المدن التي انشأوها على سواحل الخليج العربي كجبيل وصور وأرواد . ويجمع المؤرخون تقريباً على أن الفينيقيين هم أول أمة زاولت صناعة السفن . وقد اشتهرت عدة مراكز تجارية في الخليج وردت أسماؤها في السجلات والآثار السومرية التي وجدها علماء الآثار . فهناك نص يتضمنه أحد هذه الآثار يقول : ان الملك سرجون أمر سفن « ملوخا » و « ماجان » و « دلمون » عقب حملة بحرية قام بها ان تلقي مراسيها أمام عاصمة ملكه « أكاد » . وهناك نص آخر يتحدث عن صانعي السفن في « ماجان » وهذه الكلمة مؤلفة من « ما » السومرية بمعنى سفينة ، وتشير الى ان سكانها كانوا رواد بحار . ويعتقد المؤرخون ان « ماجان » هي عُمان التي اشتهرت عبر التاريخ بصناعة المراكب . أما « ملوخا » فيحتمل انها كانت تطلق على الأراضي المتاخمة للشواطيء الجنوبية للخليج العربي . أما « دلمون » التي ورد اسمها في النصوص السومرية فهي البحرين التي هيمنت على التجارة البحرية حوالي الألف الثالث قبل الميلاد ، فكانت حلقة اتصال بين المدينتين

في وادي الهندوس وارض الرافدين . وتشير النصوص التي عثر عليها في مدينة « أور » الكلدانية في العراق الى تطور التجارة وازدهارها في الخليج . كما تذكر انواع السلع التي كانت تستوردها « اور » من « دلمون » ، ومن جملتها سبائك النحاس ، والخرز ، والحجارة النادرة ، بما في ذلك العقيق الأحمر وحجر اللازورد والعاج والأخشاب النادرة واللبان وعيون السمك (اللآلي) وغيرها . ومن المراكز التجارية التي لعبت دوراً بارزاً على مسرح التجارة البحرية في الخليج مدينة جرها (١) « Gerrha » أي الجرعاء على مقربة من ميناء العقير ، والتي أسهب في وصف ثرائها المؤرخون أمثال اغاثرسيدس، وبليني ، وسترابو ، وايراتو ستنيس ، وبوليبيوس . لقد كانت « الجرهاء » مركزاً من المراكز التجارية المرموقة وسوقاً من الأسواق النشطة في بلاد العرب ، وملتقى الطرق التجارية الرئيسية البحرية منها والبرية . وكان ميناؤها يعج بالمراكب الشراعية المحملة بشتى أنواع السلع من أفريقيا والهند وحضرموت وسبأ . كما كانت «الجرهاء» تستقبل البضائع من الغرب لتقوم بتصديرها الى جنوب الجزيرة العربية وافريقيا والهند . فبلغت بذلك حداً خيالياً من الغنى .

وقبيل انبثاق نور الاسلام كانت المراكب الشراعية تذرع مياه الخليج بأعداد هائلة واشكال متعددة ، وجاء الاسلام ومعه ازداد اهتمام العرب بصناعة السفن والمراكب الشراعية التي استخدمت في الفتوحات الاسلامية . ووصل العرب قمة الازدهار الملاحي في العصر العباسي حيث أصبحوا سادة البحر بلا منازع . فتدفقت على الخليج الثروات التي وصفها المؤرخون والرحالون والأدباء على نحو مثير .

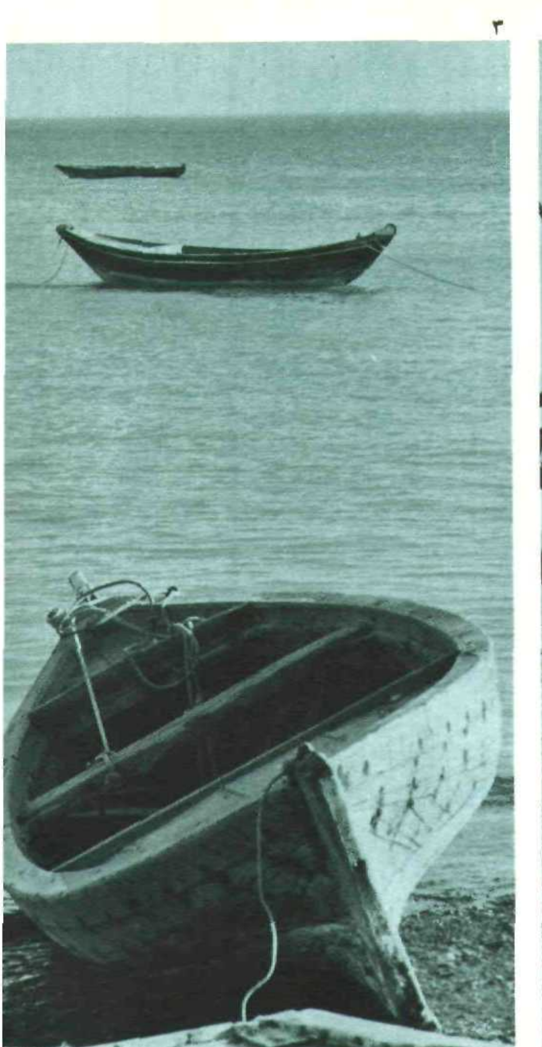
تطور المراكب الشراعية في الخليج عبر التاريخ

درج الكتّاب الغربيون على اطلاق كلمة « دهو » أو « داو — Dhow » على القوارب الشراعية العربية ، ظناً منهم ان الكلمة عربية ، مع أنها في الواقع كلمة سواحليّة لا تمت الى العربية بصلة . فقد أطلق العرب كلمة « سفينة » على المركب البحري ، وهي الكلمة الشائعة على الألسنة منذ قديم الزمان . وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في أكثر من مناسبة حيث قال سبحانه وتعالى : **« أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً »** . هذا ونجد كلمة « الفلك » القرآنية وهي مرادفة لكلمة سفينة ترد في ثلاث وعشرين آية كقوله تعالى : **« وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون »** . أما ما نسمعه اليوم من أسماء مختلفة للمراكب الشراعية المألوفة في الخليج العربي كالبغلة والسنبوك والجلبوت والبوم والشوعي والهوري وغيرها ، فهي اما أسماء مستحدثة أو مستعارة وتكون ذات دلالة بالنسبة لهيكل المركب في معظم الحالات . ونحن اذا ما أردنا تتبع خطوات الانسان الأولى في ميدان الملاحة البحرية فالنتيجة اننا لن نخرج بكلمة الفصل لا من حيث المكان ولا الزمان الذي بدأ فيه الانسان القديم يمارس نشاطه البحري . بيد ان المؤرخين الذين عنوا بهذا الموضوع يعتقدون ان الأنهار والمستنقعات والأهوار كانت المسرح الأول لنشاط الانسان الملاحي ، وكانت مراكبه بدائية مصنوعة من جذوع الأشجار أو القصب الذي ينبت على ضفاف الأنهار . أما في الخليج العربي فقد استعمل الانسان قوارب صغيرة صنعها من جذوع النخيل التي تنبت بكثرة في سواحله . وقد ذكر « بليني — Pliny » أن بعض القبائل العربية التي استوطنت السواحل كانت تصنع أطوافاً من خشب الأشجار تعتمد في طفوها على وجه الماء على الجلود المنفوخة كالبالونات ، فيثبت على جانبي كل طوف اثنان منها . هذا وكان البعض يعمد الى جذوع النخل ، فيجوف الجذع بأدوات بدائية ثم يسحبه الى البحر ويطلق لنفسه العنان على الشواطيء . وتلعب حركة المد والجزر دوراً رئيسياً في توجيه تلك المراكب البسيطة . ومع أن جذوع النخيل لا تعتبر من الأخشاب الصالحة للمراكب الا أنها كانت المادة المتوفرة لصيادي الأسماك . وقد اشتهرت عُمان بصفة خاصة ، بصنع القوارب منذ القدم . ولعل « القطمران » (٢) كان من أقدم القوارب التي كان يصنعها العمانيون . وهو عبارة عن رمث مؤلف من لوحين أو ثلاثة ألواح خشبية ، لا يزيد طول الواحد منها على خمس أقدام ، وعرضه يبلغ نحو نصف قدم ، تشد الى بعضها البعض بحبل مصنوع من الأعشاب المجدولة . «والقطمران» يتسع لرجل واحد يوجهه باستخدام مجذاف مزدوج يستطيع به ان يتوغل في البحر بضعة أميال وخاصة في الأحوال الجوية الحسنة . وعندما يشرع في الصيد يجلس في وسط

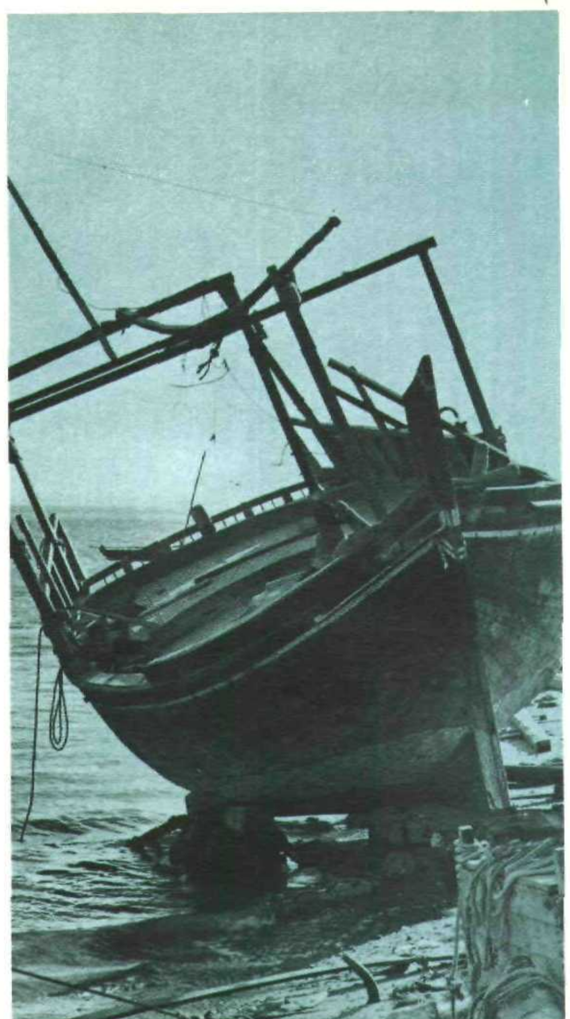
(١) راجع قافلة الزيت عدد جمادى الأولى ١٣٩٢ .

(٢) Watercraft of Arabia
رتشارد باون — Richard Bowen

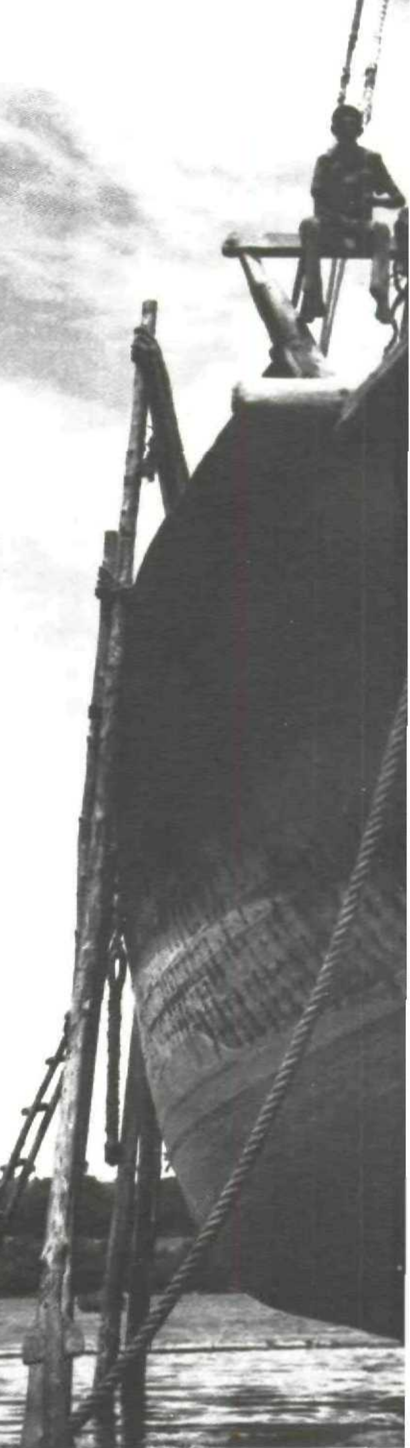
٣



٢



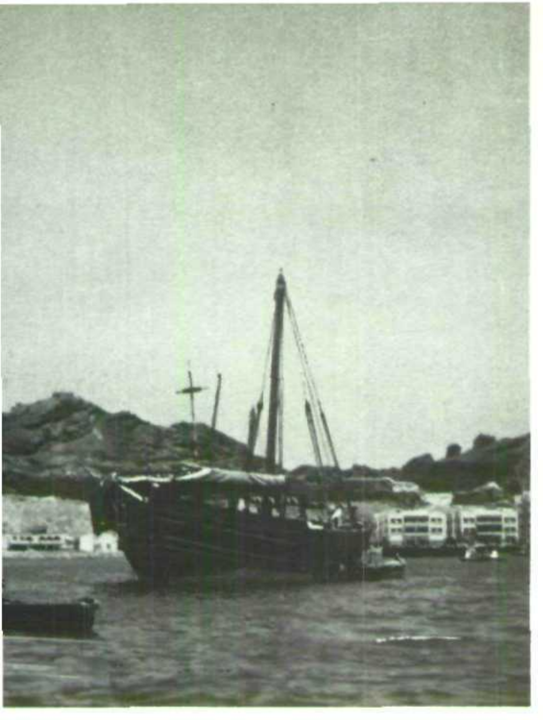
١



٤



١ – بوم ضخم يرتكز على اليابسة بعد حركة الجزر .
٢ – بين فترة وأخرى تحتاج القوارب لبعض الاصلاح والترميم ، وهذا « جلبوت » في فرضة دارين بانتظار عمليات الترميم .
٣ – « الهوري » من القوارب الصغيرة التي تستخدم في المسافات القصيرة .
٤ – البوم يصارع الأمواج بشراعه المثلث .





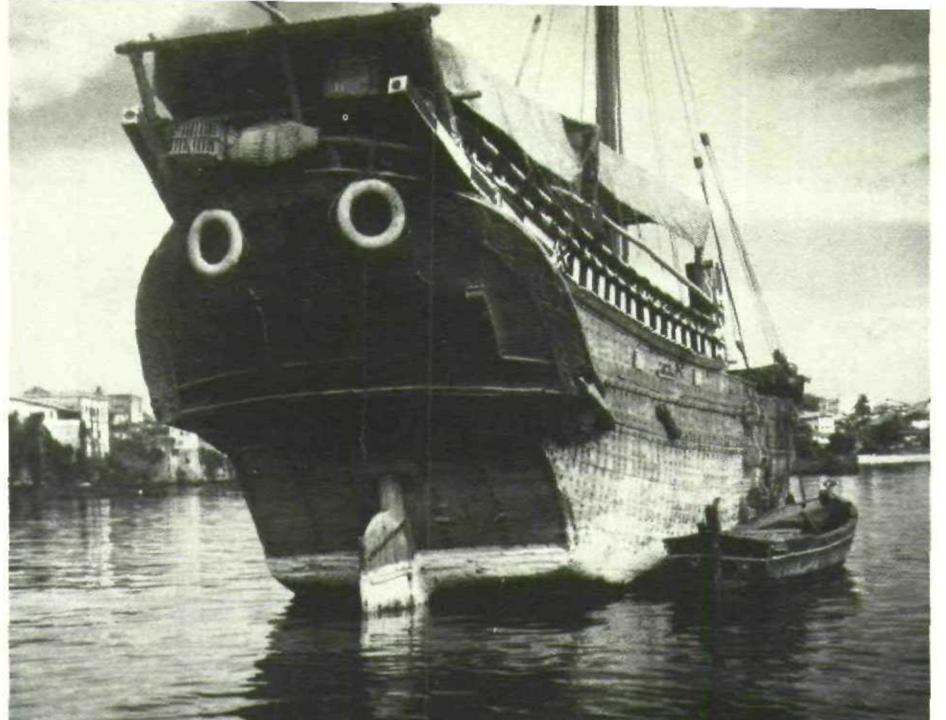


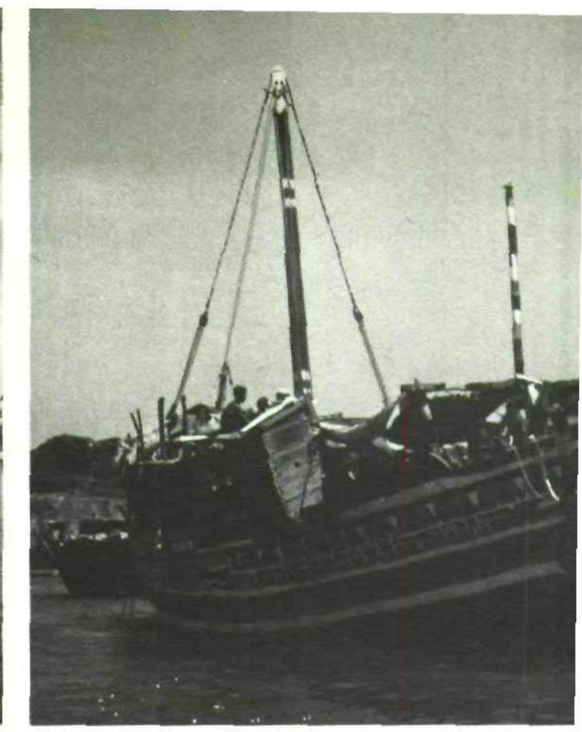


١ – صنع القوارب عملية شاقة تتطلب الأناة وقوة الاحتمال .   ٢ – هذه القوارب الراسية في ميناء عدن هي من النوع الذي يطلق عليه اسم « الزار
وهاهو العامل يثقب أحد الألواح بمثقب يدوي يدور بالحبل .   ٥ – بحارة المستقبل في « دارين » احدى قرى جزيرة تاروت بالمنطقة الشرقيا

« القطمران » مدلياً رجليه في الماء ، ومن ثم يأخذ في صيد الأسماك بخيوط خاصة يربطها حول عنقه . ويضع ما يصيده من سمك في كيس على ظهره مصنوع من الأسل . أما اذا اصطخبت الأمواج وزمجرت الرياح ، فان هذه الأرماث الواهنة لا تبرح الشواطيء حتى تهدأ العاصفة لتعاود الكرة مرة أخرى . وهناك نوع آخر من المراكب اشتهرت به عُمان يطلق عليه اسم « الشاشة » ويمتاز بمقاومته للأمواج والأنواء ، فهو على عكس القطمران ويتوغل به صيادو الأسماك الى مسافات طويلة تبلغ في بعض الأحايين ٥٠ ميلاً . وهو يصنع من جريد النخل بعد نقعه في ماء البحر ، ثم تخاط أعواد الجريد بحبال من الليف وتزم من الطرفين . وللمركب من هذا النوع سطحان منبسطان يتخذ الصيادون من العلوي منهما مجلساً . وتدسر « الشاشة » بمجذافين يساعدهما شراع صغير أحياناً . ومع ان الماء ينفذ في بعض الحالات من خلال الجريد الا ان خفة الجريد المتناهية تساعد المركب على الطفو . وقد أورد كل من فيليير (٣) – A. Villiers » وديكسون (٤) H. R. Dickson وصفاً لهذا النوع من المراكب حيث شاهداه في جزيرة فيلكة بالكويت . ومما جاء على لسان السيدة « ديكسون » في معرض وصفها لمركب شبيه بالشاشة يطلق عليه اسم « الخويرية » أو الورّاقة قولها : « يقوم السماكون من قبيلة العوازم ببناء هذا النوع من

Arab of the Desert (٤) Sons of Sinbad (٣)





٦

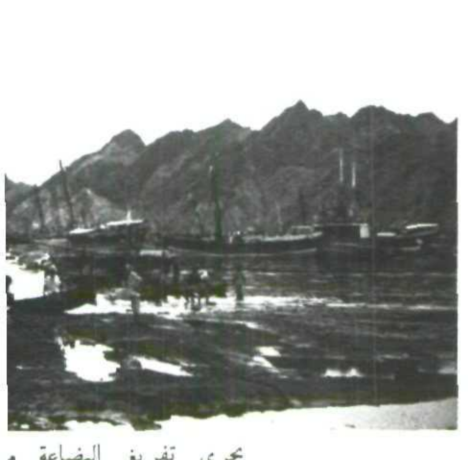


ـاز بزخارفها البديعة . ٣ – « القانجة » من القوارب المشهورة في عمان . ٤ – مجموعة من الأدوات البسيطة المستخدمة في صنع القوارب ،
ـلكة العربية السعودية يستقلون « السنبوك » . ٦ – « سنبوك » يجر « هوري » في مياه الخليج العربي على مقربة من « دارين » .

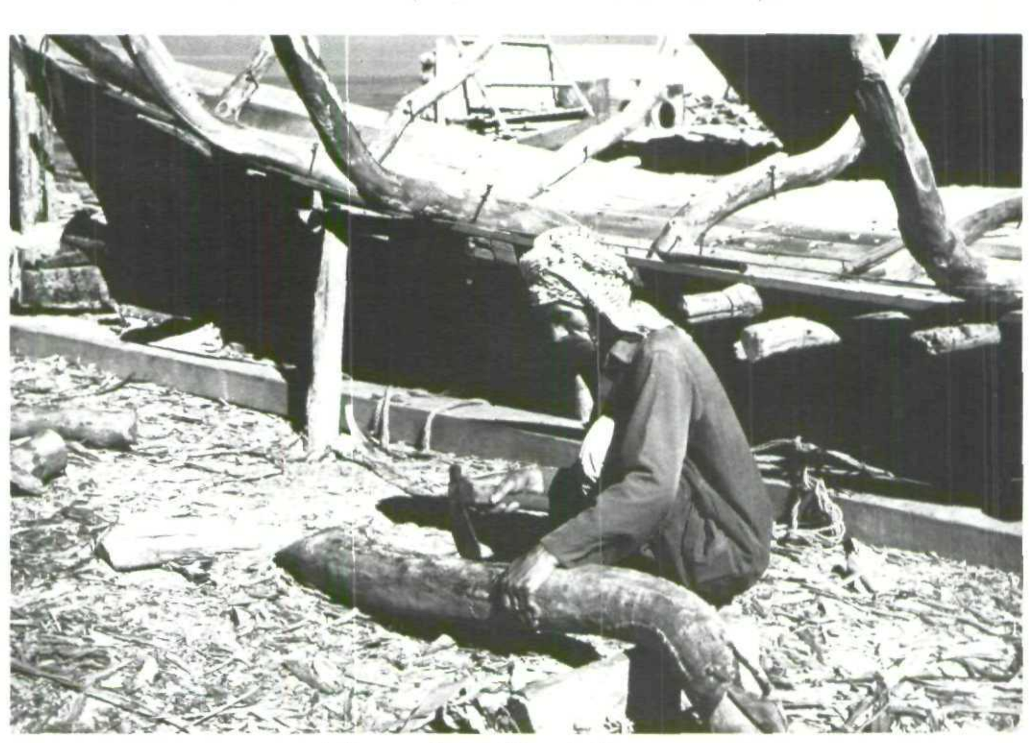
المراكب من سعف النخيل الذي يحرصون على انتقاء الملائم منه حسب مواصفات مقررة . ثم ينزع الخوص عن السعف ، ويدفن الجريد في رمال الشاطيء مدة أربعين يوماً يغمره ماء المد أثناءها ، حتى تغدو مرنة مطواعة يسهل تكييفها . ويثقب طرف الجريدة بمبرد حاد ، ثم يضم عدد من الجريد في حزم صغيرة تخاط بحبال مصنوعة من ليف النخيل ، ثم تصف هذه الحزم جنباً الى جنب لتؤلف سطحين مستويين للحويرية . ولتمكين الحويرية من الطفو على سطح الماء يثبت بين السطحين قطع من « كرب » النخيل الشبيهة بالفلين . ثم تبنى بعد ذلك جوانب المركب من أعواد الخيزران فتوضع متعامدة ومعترضة وتشد بخيوط من الليف المتين . ثم يثبت لوح عريض منبسط مثقوب من وسطه بين عارضتين على السطح العلوي للمركب . ومن ثم يثبت الصاري في الثقب ويشد عليه الشراع . أما الشراع المثلث الشكل فيؤخذ من قماش الشيت القطني (الكاليكو) أو ما يعرف محلياً بالمركان . والجدير بالذكر أن حيزوم المركب وكوثله متشابهان ، من حيث الشكل ، ويستخدم صيادو الأسماك المجاديف لتوجيه « الحويرية » الوجهة التي يريدونها . وعند العودة من صيد الأسماك يسحب المركب الى رمال الشاطيء حيث يمال على أحد جانبيه ليجف . وفي منطقة الأهوار في العراق لا يزال السكان يستخدمون مراكب مماثلة للحويرية



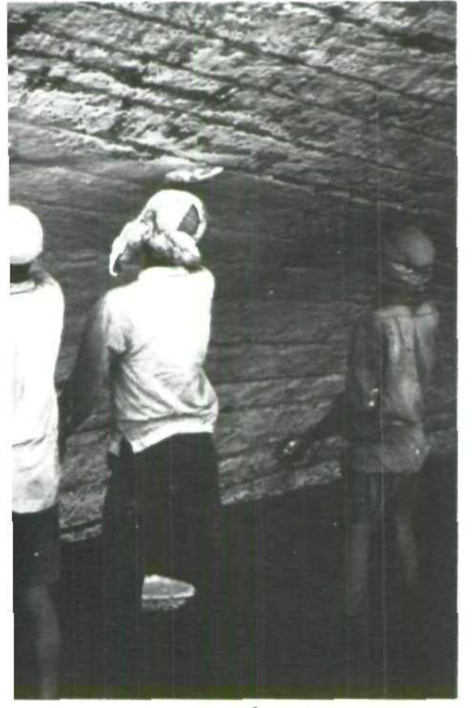
« البوم » من القوارب التجارية ويعرف بمقدمته الحادة المائلة .



يجري تفريغ البضاعة م



« القدوم » من الأدوات الأساسية في صنع القوارب .



صيانة المراكب أمر جوهري ، وهاهم ال

والشاشة مصنوعة من القصب . ومنها الشلبية والطرّادة والمشحوف . وهناك من يعتقد أن فكرة هذه المراكب بدأت أصلاً في أهوار العراق ومنها امتدت الى الكويت وعُمان دليل ذلك ان عرب الأهوار يطلقون كلمة « الشاشة » على حزمة القصب المستدقة الطرف .

تلك هي المراكب البدائية التي استعملها العرب قديماً . ولمّا اتصلوا بحضارات أخرى بحكم فتوحاتهم ابان العصرين الأموي والعباسي طوروا مراكبهم تطويراً جذرياً ، سيما وقد توفرت لهم خامات جديدة متينة في البلدان التي فتحوها . ففي العصور الوسطى شاع استعمال خشب التك (الساج) وخشب جوز الهند (النارجيل) في صناعة المراكب . فراح العرب يجلبون تلك الأخشاب من جنوب الهند وسيلان واندونيسيا وغيرها من البقاع ليبنوا مراكبهم . وكان بعضهم يذهب الى تلك البلدان ليبني مراكبه هناك ، وقد أسهب الرحالون والجغرافيون العرب أمثال ابن جبير والأدريسي والمسعودي وابن بطوطة وغيرهم في وصف المراكب العربية والرحلات البحرية في القرون الوسطى ، لما بلغه العرب من ازدهار ونشاط تجاري لم تبلغه أمة من الأمم في ذلك الحين . ولنستمع الى ابي عمرو بن صاحب الصلاة يصف شانياً (٥) سافر فيه :

« أخذت للسفر عدة الحزم ، وشددت عقدة العزم ، وانتظمت مع السفر في سلك ، وركبنا على اسم الله ظهر الفلك ، في شان عظيم الشان ، أحدقت به النطق احداق الحيازم ، وامسكته امساك الأبازم ، ثم تتبع خلله فسدّ ،

(٥) الشاني : اسم لنوع من السفن التجارية والحربية عند المسلمين وجمعه الشواني .



بوم » في ميناء مطرح في عمان .



ن الجزء الأسفل من المركب بالجص الممزوج بالودك .

ورخوه فشدّ ، حذراً على ألواحه من الانخلاع ، واتصلت بعرانيسه اتصال الجلود بالأضلاع ، ثم جلببت جلباباً من القار ، وضمّخ في المتنين والفقّار ، فامتاز بأغرب ميسم ، وعاد كالغراب الأعصم ، له من التماسيح أجنابها ، ومن الخطاطيف أذنابها ، وقد مد قلعيه ذراعيه متلقياً من وفد الرياح مصافحة ، ومستهدياً منها منافحة . تقلد الحكم عليها اشتيام (٧) ذو تيقظ واستبصار ، واستدلال على الأعماق والأقصار ، يستدل باختلاف المياه اذا جرى ، ويهتدي بالنجوم اذا سرى ، قد جعل السماء مرآة ينظر فيها ، ويحذر من دجن يوافيها ، فاذا أصدأها الظلام بحنادسه ، وصقلها الضياء بمداوسه ، يسبح الله في مصبحه وممساه ، ويبسمل في مجراه ومرساه ، ويذكر رباً يحفظه ولا ينساه ، قد اتخذ فيه مواتيه ، من أنجد النواتيه ، مشمرين الأثواب ، مدبرين بالصواب ، يفهمون عنه بالايماء ، ويتصرفون له تصرف الأفعال بالأسماء ، ويترنمون عند الجذب والدفع ، والحط والرفع ، بهيمنة تبعثهم على النشاط والجمام (٨) ، وتؤديهم في عملهم بالتمام فخرجنا ونفح الريح نسيم ، ووجه البحر وسيم ، وراحة الريح تصافح عبابه مصافحة الخلّ ، وتطوي حبابه طيّ السجلّ ، وتحوك من لجحه أبراداً ، وتصوغ من حبكه ازراداً ، فلما توسطنا ثبج البحر ، وصرنا منه بين السحر والنحر ، صحت الريح من سكرها ، وطارت من وكرها ، فسمعنا من دوي البحر زئيراً ، ومن حبال الشاني صفيراً ، ورأيناه يزبد ويضطرب ، كأنه بكأس الجنوب قد شرب واستقبلنا منه وجه باسر ، وطارت من أمواجه عقبان كواسر ، والشاني تلعب به أكف الموج ، ويفحص منها بكلكله فوجاً بعد فوج ، والبحر تحتنا كأرض تميد بأهلها ، وتتزلزل بوعرها وسهلها ، والرش يكتنفنا من كل جانب ، ويسيل من أثوابنا سيل المذانب ، وبقينا في هم ناصب ، وعذاب واصب ، حتى انتهينا الى كنف الجون ، وصرنا منه في كن وصون ، وهدأ من البحر ما استشرى ، وتنادينا بالبشرى ، ووطئنا من الأرض جدداً ، ولبسنا أثواب الحياة جُددا ! . . » .

هذا وصف حي لحياة البحر ، بالرغم مما يكتنف اسلوب الأديب من تصنع وتكلف ظاهر جرياً وراء السجع ، ليس هذا في حد ذاته غايتنا انما غايتنا هي معرفة مدى معاركة العرب للبحر ومعايشتهم له .

مما تقدم نرى ان العرب في العصور الوسطى قد جابوا البحار في رحلات وأسفار طوال ، جعلت منهم سادة البحر والشراع . وقد برع أهل عُمان بصناعة المراكب وترميمها بحكم صلتهم المباشرة بالشرق حيث الأخشاب المتينة ، ويعطينا ابو زيد الحسن بن يزيد وصفاً لنشاط العمانيين في هذا الصدد فيقول : « هناك أناس في عُمان يعبرون نحو الجزر التي تنتج جوز الهند ، يحملون معهم أدواة النجارة وما شاكلها ، وبعد قطع ما يحتاجونه من خشب يتركونه ليجف ، ثم يقطعون الأوراق الى شرائح ، ويغزلون من لحاء الشجر غزلاً يخيطون به صفائح الخشب معاً ، وهكذا يبنون سفينة . ومن الخشب ذاته يقطعون الصاري ، ومن الأوراق ينسجون قلوعهم ، ومن اللحاء يصنعون أمراساً للسفن . وبعد ان يكملوا بناء سفينتهم يحملونها بجوز الهند الذي يبيعونه في عمان . وهكذا فان من هذه الشجرة وحدها ، تتكون أدوات كثيرة للاستعمال مما لا يكفي لبناء سفينة وتجهيزها فحسب ، بل ولتحميلها حينما تكتمل ، وتهيئتها للاقلاع » .

والمعروف عن خشب الساج الذي يستعمل في بناء السفن انه يعمر طويلاً في الماء علاوة على انه متين لا يتشقق ، ولا يتقلص ، ولا يتغير شكله ، وقابل للتكييف للدانته ومرونته ، ولذا يسهل على عمال بناء المراكب معالجته حسب حاجتهم . وشجر الساج منتشر في جنوب الهند وبورما وسيام واندونيسيا . وهو يعد منذ أقدم الأزمنة من السلع الثمينة التي كانت ترد الى الخليج العربي . فهذا ثيوفراستوس (٩) — Theophrastus حوالي ٣٠٠ ق . م . يشير الى نمط من الخشب يرجح انه الساج كان يستعمله سكان جزيرة « تايلوس » البحرين في بناء السفن ، من ميزاته انه شديد المقاومة للعطب والتلف طالما هو في الماء ، فاذا ما أخرج منه ، سرعان ما يلحقه التلف والتسوس .

ومما هو جدير بالملاحظة أن ألواح المراكب حتى أوائل هذا القرن كانت تخاط بحبال متينة من ليف النخيل أو النارجيل أو القنب الهندي دون اللجوء الى المسامير المعدنية او الخشبية ، وقد درج العرب على هذا العمل حتى بعد انتشار المسامير واستعمالها في بناء السفن في اوروبا . ويعلل ابن جبير ذلك بقوله ان الألواح الخشبية المخاطة أكثر مرونة في البحر من الألواح المسمرة ، كما ان ارتطامها في الصخور المرجانية أخف وطأة . وقد تكون صعوبة الحصول على المسامير في ذلك الحين سبباً في عدم استعمال العرب لها في بناء سفنهم ، هذا وكانت الشقوق والثقوب في الألواح تسد اما باستعمال الدّسر من النخيل او باستعمال دهن الحوت أو سمك القرش او مزيج من الصمغ والقار وزيت الحوت ، وأحياناً تسد بأكياس الخيش المغموسة بالزيت . وقد ذكر الأدريسي ان صغار الحيتان التي يصطادها

(٦) الأبيض الجناحين . (٧) رئيس الملاحين وهو لفظ أعجمي أخذه العرب . (٨) ذهاب الأعياء والتعب . (٩) « الخليج العربي » لمؤلفه ارنولد ويلسون .

البحارة كانت توضع في مراجل ضخمة فوق نار حامية فتذوب وتتحول الى مادة دهنية لزجة تستعمل في تسديد الثقوب والشقوق في ألواح السفن .

وقد عرف العرب أنواعاً عديدة من المراكب الشراعية اشتهرت بها المناطق المتاخمة للساحل الغربي من الخليج العربي والسواحل الجنوبية لشبه جزيرة العرب . واستخدمت هذه المراكب في أغراض شتى ، فمنها ما كان ولا يزال يستعمل في نقل البضائع والركاب ، ومنها ما يستعمل حتى الآن في صيد الأسماك ، ومنها ما كان حتى عهد قريب يستعمل في صيد اللؤلؤ . وبينما كانت تعتمد معظم المراكب في توجيهها على الأشرعة ، نجدها اليوم تعتمد على المحركات الآلية ، وبذلك أصبح الشراع والدقل (الصاري) من تراث الماضي . ومن بين المراكب الشراعية المعروفة السنبوك الذي يتميز بمقدمه العالي المائل ، والجلبوت بمقدمه المنخفض العمودي . والبغلة ، والبلم ، والدانوق ، والبتيل ، والزيمة ، والهوري ، والبوم ، والزاروق ، والقانجة ، والعبري ، والقلص ، والشاحوف ، وهذه القوارب تختلف باختلاف احجامها واشكال هياكلها وخطوطها الرئيسية وخاصة مقدم المركب .

ويوجد حالياً في موانىء الخليج العربي والبحر العربي أعداد من القوارب الشراعية التي لا تزال تتحدى السفن الحديثة الآلية. وهناك من يهتم بها ويقوم باصلاحها وترميمها وصيانتها كما هي الحال في الكويت والجبيل ودبي وعدن . ففي مدينة الجبيل من المملكة العربية السعودية يقوم الصيادون ، محافظة على قواربهم الشراعية والآلية ، بطلاء الجزء الأسفل من المركب بطبقة من النورة « الجص » الممزوج بالدهن المأخوذ من سنام الابل ، لوقايتها من طحالب البحر، والقشريات التي تتراكم عليها وتتلفها مع الزمن .

هذه لمحة موجزة عن تراث عريق يتمثل في المراكب الشراعية التي أسهمت في نقل الحضارة العربية الاسلامية الى بقاع نائية ، والتي راحت تصارع اليوم رياح الحضارة الحديثة وأمواجها العاتية بأشرعة بيضاء تتهادى على صفحة مياه الخليج الزمردية لعلها تبقى رمزاً محبباً لماض زاهر وحاضر مشرق ■

سليمان نصر الله هيئة التحرير

تصوير : كلفورد هوكنز وجون فيني وشيخ أمين



النجار منهمك في انجاز قاعدة القارب حيث يثبت الألواح والعيدان متعامدة ومتعارضة .



انتهى العمل من قاعدة القارب

رِقَّةُ طَبِيبٍ

للشاعر: محمد مصطفى الماحي



ارفق بنفسك قد جريت لغاية ... في الفضل لم يسبق اليها فاضلُ

كم مدنف بادي الهزال كأنه ... شبح تراءى او خيال ماثلُ

أغرى السقام به الضنى وأذاقه ... طعم المذلة ليله المتطاولُ

خفيت معالم وجهه فأبانه ... نَفَسٌ يردده ودمع هاملُ

وعراه يأس لم يزل يغري به ... واليأس ان بلغ النهاية قاتلُ

حتى طلعت عليه بالأمل الذي ... أحياه فانقاد الرجاء الحائلُ

حققت ظن الناس فيك فراقهم ... كرم تطالعهم به وشمائلُ

غَنِيَتْ بِرِقَّتِكَ النفوسُ وانها ... لأجلُّ ما يهب الطبيب العاقلُ

لا كالذي يصف الدواء ووجهه ... متجهم بادي العبوسة ماحلُ

تشقى به نفس المريض كأنه ... عنوان يأس أو دليل جاهلُ

ضل المسير فحار في أسبابه ... سعياً ، وضاق بما يشير الآملُ

كم بسمة ردت الى ذي علة ... أملاً ، فأسعفه الشفاء العاجلُ

محمد مصطفى الماحي – القاهرة

أنت قاس

بقلم: السيدة جاذبية صدقي

قالتها وصوتها يرتعش بل ينتفض متهدجاً منفعلاً مخضلا . لا في نبراته بل في كيانه كله تستشعره حتى أنك تكاد تلمسه بأنملة كأنه رقعة زرع أخضر سقاها بستاني !

— « قاس ! قاس . . أنت ! »

كررتها وهي تضرب الأرض بقدم صغيرة ثائرة . ثم ألقت وجهها بين كفيها كأنما ستغسله بدموعها . بكت بحرقة وبانكسار ، لا لأنه قاس ، بل لأنه لم يهتز . وتلك قمة القسوة — ما بعدها ؟ لا يهتز ؟

فاندفعت في ثورة غضبها منه . . ومنها تجذب حقيبة ثيابها عن ظهر دولابها . وشعرت براحة والحقيبة تهوي بعنف على الأرض لأنها تخيلتها وقد هوت على « يافوخه » . فابتسمت ، ثم من فورها عبست جزعة — يافوخه ؟ لا — لا ! « بعد الشر عنه ! » من فورها عبست ثانية عبوساً أشد اكفهراراً من الأول ، تمضغ شفتها مضغاً تكاد تهرسها . كأنما قررت ان تدع حبه المتغلغل هذا ينز من خلال الجراح التي تحدثها أسنانها الدقيقة الحادة الثائرة بتلك الشفة الناشئة الكسيرة . خير طريقة هذه — أجل ، خير طريقة ان تسيل دماؤها هي فيمتصها التراب وتتخلص منه ومنها ! فكأنما القاسي قد أذاب ذاته في ذاتها وامتزج بخلاياها وصار بعضاً منها — من كيانها من دمائها ! كلا ، كلا — لا يكون ! ما هذا الضعف ؟ ستزهق روحها هذه حتى يتلاشى هو . يذهب هو ! ستسيل دماؤها حتى ينسل هو خارجاً غصباً مع قطراتها المراقة !

هنا احتد نحيبها ، لا لأنه قاس ولا لأن دموعها لم تهزه ، بل شفقة على نفسها من خيالها الذي يصور لها دماءها مراقة !

— يا لحيرتي يا رب !

بصوت مسموع قالتها .

هذا كله وظهرها له .

ثم فجأة ، تذكرت الحقيبة . وتذكرت أنها انما جذبتها عن ظهر الخزانة لتلم ثيابها وتذهب عنه بعيداً . طبعاً ، خير طريقة هذه ! فابتسمت من خلال دموعها ابتسامة ذابلة شاحبة صفراء واهنة خلال أمطار وسحب وعواصف . ومع ذلك تشبثت بالابتسامة ، كأنما مشاعر المرء تتبع حركاته ، لا العكس ! أجل ! أجل ، أجل — ستذهب بعيداً عنه ! ستهجره ولا تعود تراه أو تسمع صوته ؟ هنا لفظت ابتسامتها ، ثم تلاشت — وتبخرت . . ماتت ! أو كأنما هوت الابتسامة في اغماءة سحيقة من هول مستقبل كهذا — لا تراه ؟ لا تسمعه ؟

فهزت كتفيها مستنجدة . هزتهما بعنف كأنما تريد ان توقظهما من خدر لسيرته — مجرد سيرته ! كأنما يمكن ان تمتلك كتفاها برقتهما وعذوبتهما قوة ما تستمدها منهما . الحق انها طريقة جيدة هذه ، انها الهجر ! أحسن شيء فالهجر خير من اراقة دمائها لتتخلص منه ومن حبه ! ارتفع لها حاجب ساخر ، يدفع الرقة أمامه ويأخذ مكانه على صفحة قسماتها كأنما وجهها مسرح للأحاسيس . . تراقص الحاجب متسائلاً . حب سيميتها ؟ لم ؟ أتموت قتيلة الهوى كما تقول الروايات ؟ ليمت هو ، ليمت !

فقسا عليها قلبها بوحشية وجنون يخز ضلوعها وخزاً بلا رأفة وهو يتقافز ملتاثاً ملتاعاً ، يصرخ فيها ويصرخ .

— « بعد الشر عنه — بعد الشر الف مرة ! »

فهوت عليه . . على قلبها هذا بكف رخصة تهدئه ، تهدهده ، تستسمحه ، طفلها هذا العنيد ! وانسدل جفناها على عينيها في هدأة نفسية تصاعدت من أعماق أعماقها

— « بعد الشر عنه — الف الف مرة ! »

ثم كأنما تعتذر لعقلها :

— « شاب هو في عزه »

ثم استدارت والدموع الساخنة تنذرف من عينيها أمام حقيبة ثيابها تتحسس مفاتيحها . ثم تحاملت متساندة تتحسس أدراجها وحاجياتها بيد مرتعشة ، فتوقفت لحظة حتى تخفت تنهدات قلبها . . ثم ارتفع حاجباها في دهشة حتى أحست بأن تلك التنهدات قد أفلت زمامها !

ورآها . . « هو » . . حيث وقف يطوي ذراعيه على صدره ، مرتكناً الى باب الحجرة المغلقة عليهما يتأملها في صمت . رآها وكفها ترتجف وتتسلل تضغط قلبها . فتقافز قلبه لهفة على توأمه الذي يسكن ضلوعها . وأراد أن يتلوى هو الآخر معه ، وله ! ما لهما . . قلبه وقلبها . . وما للسحب التي تحوم فوق رأسي صاحبيهما ؟ فهمس لصاحبه :

— « زوجتي — زوجتي الصغيرة ! عصبية وغيور . . لكنها الحبيبة ، الحبيبة ! »

وأراد ان يبثها شوقه ، ويعطيها من حنانه .

لكن الرجل زجره ، وجانب من شفته يرتفع في سخرية لاذعة ، وهو يقول له :

— « الا تفهم يا غبي ؟ تمثيل نساء هذا الزمن ! كن رجلاً ! » .

أما « هي » ، فرفعت نظرتها وهي تغلق حقيبة ثيابها على ما دسته فيها اعتباطاً . رفعتها لتتزود من وجه الحبيب الذي تهجره بلا رجعة . فتعلقت عيناها متشبثتين بكل قسمة من قسماته كأنما تودعها : رأسه المرفوع في غطرسة وعناد . . شعره الجعد الكثيف ، فوداه وقد وخطهما مشيب مبكر .. سمرته يزيدها المشيب توهجاً . . ثم شفتان مضمومتان هكذا أبداً في خط رفيع قاس .

غمغمت بالكلمة في سرها ، ثم ألقت بوجهها بين راحتيها . فتنهد قلبها :

— « ومع ذلك سوف اشتاق اليه ! »

فوافقته ، تتنهد :

— « اي والله ، صدقت ! »

فعاد يقول :

— « وهل ستظنينه سيرتاح دوننا — دون خدمتنا ورعايتنا ؟ »

فاحتد تنهدها :

— « لا أظن ! »

فاقحم عقلها نفسه في حديثهما الناعم المتهاوي :

— « لينفلق »

فجزعت :

— « كيف ؟ كيف تقول هذا عنه ؟ »

فثار عقلها :

— « اقولها . . نعم أقولها . . »

فغمغمت بهدوء وسكون تحاول ان تهدئ



من ثورة غضبها ..

فطاش صواب عقلها :

— « اعقلي يا امرأة ! »

فتبسمت :

— « هداني قلبي اليه — كفاية ! »

— « حقوقك عنده ضائعة وستضيع كلها .. كلها ! »

وصوتها حالم يتضوع بخدر :

— « تضيع ! »

— « عمرك .. شبابك .. أيامك هدر جنبه ! »

— « فداه ! »

— فضرب عقلها كفاً بكف :

— « والله خسارتي فيك ! »

فهزت كتفيها :

— « طلبت انا رأيك ؟ »

فصرخ :

— « اتنتصرين للمهووس دوني ؟ »

فلم تجب . فاستطرد صراخه :

— « مهووس .. ملتاث .. بلا رابط ! لا عمل له سوى نبض .. وخفقان .. وشوق .. وحنين .. وخصام .. ولقاء .. وخصام آخر .. وفراق .. و .... »

فقاطعته وهي تبتسم شاردة مع خيالات وردية وذكريات غالية :

— « ما لك أنت ؟ »

وعقلها على حاله ، ثائر عليها وفي أوج غضبه :

— « ما لي أنا ؟ كيف ؟ لم وضعني الله سبحانه اذن داخل ذلك الرأس الجميل المتأنق المتعطر البديع ، الذي يشبه اللؤلؤة الفارغة ! »

فهزت له كتفيها .

فجأر :

— « استغفرك يا رب .. لم خلقتني ثم جعلت قسمتي جمجمة امرأة ؟ »

فقاطعته باستخفاف :

— « سامعه يا استاذ .. عقلي ! نعم ، قل قل ! »

— أنا لا أمنعك من حبه ، فهو رجلك .. وحبيبك .. وزوجك ! ثم هو حقاً انسان ممتاز ، لكنه .. »

فصاحت متنمرة :

— « لكنه ماذا ؟ قل ، ولا تخف ؟ »

فاحتد

— « أنا لا أخاف . . لا منك ولا منه ! »
فرنّت ضحكتها :
— « حسبت ! »
— « كفى هذراً يا امرأة . قلت لك ! أنا لا أمنعك من حبه ، لكني انصحك بعدم امتهان كرامتك هكذا ! »
فالرجل كما قالت آلاف العقول المسكينة قبلي حتى جفت حلوقها لآلاف الملاثات مثيلاتك منذ بدء الخليقة — الرجل صياد ، صياد ! وماذا يحدث للصياد ؟ يتعب هو . . ويشقى . . ويحاور . . ويداور . . ويرعى . .
فلم تع من كل ما قاله سوى كلمة « كرامة » . فقالت تجيبه بشجن :
— « وهل للمرأة المحبة لزوجها حقاً سنين طويلة وقد تم لها زواج هو اختبار صارم للحب — هل لامرأة كهذه كرامة مع من تحب ؟ اكرامتها أغلى أم رجلها نفسه ؟ »
— « يا ستي افهميني : لو كان الأمر يتعلق بك وحدك لهان الأمر ، لكنك ستجريننا كلنا . . كلنا . . وراءك ، ونتهم بالخمول والبلادة والركود »
فلم تجب . ربما لم تسمع .
فانفجر فيها :
— « لا فائدة ترجى منك ! انك لا تستخدمينني في تفكيرك متى كان لقلبك مصلحة ما في الأمر ! »
وصوتها حالم ناعم ، يذوب :
— « وهل لي قلب ؟ ملكه قلبي منذ الأزل — ملكه « هو » ! »
فهدر عقلها مزمجراً :
— « سوف أهجرك أنا في هذه اللحظة الحرجة من حياتك » .
وسرحت نظرتها مع ابتسامتها هناك . . بعيداً . . بعيداً . . عن عقلها وقالت :
— « قل أي شيء ، ادع عليّ انا بأيّة دعوة ! فقط أبعد عن . . حبي ! »
فصرخ بيأس :
— « اذن سوف أنام سوف أنكمش في حالي ولتنفلقي أنت . . وقلبك . . وحبك . . »
— « أحسن » !
فجذب عقلها عليه أغطية ثقالاً ثقالا ، وتثاءب . . وتمطى . . ورقد على جنبه ، ونام ! فلم تجزع . بالعكس . تبادلت هي وقلبها نظرة مرحة خاطفة ، ثم انفجرا ضاحكين — الحرية ، الحرية !
فسمع « هو » ضحكتها الخفيفة ، حيث وقف يطوي ذراعيه على صدره ويرتكن الى باب الحجرة التي شهدت خصامهما مرات . فغضب . أتضحك ؟ اتهزأ به ؟
فقال لها بكبرياء جريحة :
— « هل هذا موقف ضحك ؟ اتسخرين مني؟ »
هنا جزعت جزعاً حقيقياً شديداً . يا الهي ! متى يفهمني ؟ فاستدارت على عقبيها تواجهه بدموع كثيرة أطاعتها ، وملأت مقلتيها بسرعة :
— « بل أبكي ! »
وتعلقت عيناها به .
ثارت عندما رأت وسامته . . وقامته . . ووقفته . . لأنه يخونها ! لأنه ابتسم لغيرها . سمح لغيرها أن تمسح على شعره ، تتلمس حنانه . . ونظرته . . ولفتته !
فأضافت بفظاظة :
— « أبكي على حظي الأسود ! »
فكأنما قذفته بكرة من نار ، لم يطقها فردها اليها من فوره بمرارة وفظاظة أقسى :
— « حظك ، أم حظي أنا الأسود ؟ »
— « حظنا أسود نحن الاثنين ! »
— « اذن لم التردد ؟ فيم الانتظار ؟ »
فتساءلت ، وعيناها مندلعتان :
— « ماذا تعني ؟ »
— « أعني الفراق ، الطلاق ! »
فانفجرت :
— « طبعاً ، ليخلو لك الجو ! لتمرح على هواك مع نسائك اللاتي على كل شاكلة ولون ! طبعاً . . »
فقاطعها بهدوء ، وقد برد قلبه — اطمأن :
— « ش . . ش ! لا لزوم لذلك الكلام ! »
— « لا لزوم له ؟ بل له لزوم جداً . . ! اتصور انني هذه الليلة سأكون قاتلة او مقتولة . . ! »
عيناها رجراجتان مجنونتان ، وقسماتها الحلوة قبيحة ، وصوتها الناعم أجش ، وحركاتها التي تتمشى فيها انسيابية عذبة ، متقلصة وهي تفح :
— « أقتلك لا بد . . أو أقتل روحي . . أو أقتل « لولا » هذه بنت أل . . »
فخطا نحوها خطوتين سريعتين ، وهوى بكفه على خدها . فصرخت :
— « تضربني من أجلها ؟ »
فصرخ بدوره :
— « قلت لك كفّي عن مثل هذا الكلام ! »
— « وان لم افعل ؟ »
— « أضطرك اليه اضطراراً ! »
— « وان لم تنجح ؟ »
— « أطلقك ! »
فصرخت في تشف :
— « صح النوم — سلطان زمانك أنت ؟ لن تقدر ، فلم يعد هناك اليوم طلاق بأمر الرجل وحده فحسب ! »
فتنبه للهفوة . لكنه تمالك . لم يطلعها على الوخزة التي أصابته من قلبه هو ، عندما نطق بكلمة الطلاق التي اضطرته برعونتها الى النطق بها . وخزه قلبه ، ينوح :
— «حبيبتي أنا — تطلقها ؟ كيف العيش بعدها؟»
لم يطلعها ، فلم تر على قسماته سوى جمود وقسوة وحزم وترفّع ، وهو يقول لها :
— « أبعد عنك والسلام — بأيّة طريقة ! »
فتلوّت وهي تسبح بنظرتها الجزعة في قسماته ثم تقفز بها الى عينيه تسبر أغوارهما ، أسرارهما ! ثم تقفز بها مرة ثانية الى خط شفتيه المزمومتين القاسيتين في غموض واصرار . ثم صرخت وصرخت كأنما رأت الدنيا تنهار :
— « آه . . ! لم يعد لي في قلبك مكان ! »
وبكت بحرقة وبدموع كثيرة — دموع حقيقية صادقة هذه المرة ، منتزعة من شغاف روحها . وبكى معها قلبها ، ينشج :
— « يضربنا ؟ »
فقالت له بصوت صغير :
لا ضير ياقلبي من لطمة — هو رجلي على كل حال !
— « صدقت يا أختي — ولكن أن ينسانا ويهوى غيرنا ويدعنا نحن نهوى هكذا من قلبه كمية مهملة . . »
فقاطعته تولول :
— « مصيبة ، مصيبة كبيرة ! »
وأقاما مناحة لطم قلبه فيها صدغيه ، يتفجع ويتمرغ ، ويضرب رأسه بضلوعها كأنها أعمدة مسجون هو بينها . . ويتقافز ملتاعاً ويتقافز ، كأنما بساطه جمرات حمر ، يندب :
— « داهيتي ، داهيتي ! »
وهي تردد وكأنها صداه :
— « داهيتي ، داهيتي ! »
— « آه ماذا نفعل الآن ؟ ما يكون من أمرنا من غير حبه ؟ ما مصيرنا ؟ »
كأنما انتهى العالم ، وتوقفت الحياة . .
فانحنت على حقيبة ثيابها تحملها وتخطو بها نحو الباب ، خطوات مخلخلة مبتئسة .
و « هو » . . رجلها . . يرقبها وقلبه يدق يدق على وقع خطواتها !

وعندما مدت يدها التي يذكر نعومتها وعذوبة برد ملمسها على جبهته عندما يمرض او يعود مجهداً — عندما مدت يدها هذه الى كرة الباب لتفتحه وتخرج من حياته ، وهي تغمغم ليفسح لها الطريق :

— « عن اذنك ! »

لكنه لم يفعل . تنحى عن طريقها ، بل فتح لها الباب . فاندفعت خارجة، تخنقها أشياء كثيرة ليست الدموع احداها . وهبطت بضع درجات ، ثم خانتها ذراعها التي تحمل حقيبة الثياب الثقيلة . فهوت الحقيبة تتدحرج على السلم . وتعثرت « هي » فيها وكادت تهوي فوقها ، لولا أن شعرت بذراع قوية انتشلتها انتشالاً من عثرتها .

فلما استوت على قدميها تنفض ثوبها في خزي ، تركتها الذراع !

فرفعت عينيها بسرعة ، بلهفة . فلم تر منه سوى ظهره وهو يصعد السلم ثانية .

فالتاعت . هل يخفي ضحكة منها ومن منظرها ، وهي وحقيبتها تتدحرجان ؟ أم يتركها حقاً تهجر البيت ، على حين يعاود هو الدخول اليه ببرود هكذا ودون اكتراث ؟

فاندفعت تهبط الدرجات مثنى مثنى وهي تكاد تهلك . ولكنها عندما وصلت الى حقيبة ثيابها التي كانت قد سبقتها الى نهاية السلم وانحنت لترفعها بكلتا ذراعيها . . بيديها . . وبعافيتها كلها . . وبغضبها كله ، ألقته عند مرفقها !

وقال وهو يخلص الحقيبة من يديها الصغيرتين :

— « عنك ! »

فعجبت لصوته الحنون ولرنة الأسى فيه التي يحاول اخفاءها . رنة خفية فعلاً ، لكنها « هي » بحاسة مبهمة في جب حواسها السحيق الجياش تلمستها بما لها من رهافة ، وصادتها من الهواء !

فتسمرت مكانها ، حيرى .

لكنها تذكرت « لولا » . . ودلال « لولا » وصوت « لولا » ، ثم سهراته وحفلاته . . ووسامته وقامته ! فانتزعت الحقيبـــة منه بفظاظة :

— « لا لزوم ! »

فجزع « هو » وكبرياؤه جزعاً !

أتهجره ؟ حقاً ؟ هي التي تهجر ؟

فرفع يداً الى جبهته وقد زحفت عليها برودة فجأة . فلمحته — لمحت حركته هذه . فهوت الحقيبة من يدها واستدارت اليه — « هو » على رأس السلم و « هي » أسفله !

وانهار صوتها وهي تسأله :

— « ما لك ؟ »

— لا شيء !

— «لم اذن تتحسس جبهتك ؟ »

— «لا شيء — لا تقلقي بالك ! »

— « لا أقلق بالي كيف ؟ وأنت ؟ »

فاستغل الثغرة !

شحن سحره كله . . وجاذبيته كلها . . ورماها بنظرة جانبية تحبها منه دائماً ، يغمغم :

— « أنا بخير ، ما دمت أنت بخير ! »

فذابت .

— « وهل أكون بخير وأنا قلقة عليك وعلى صحتك ؟ » فسعل . .

استنجد مستميتاً بكل خشخشة كانت في صدره منذ أسبوع ولزم بسببها الفراش . فاستوحشته لمة اصدقائه ، ودفعت « لولا » الى محادثته هاتفياً في بيته للسؤال عنه وعن سبب تخلفه أسبوعاً بطوله . فأجابتها زوجته التي ادعت بمكر انثوي أنها الخادمة وعرفت منها كل شيء ! وكان ما كان !

استنجد الآن بسعاله القديم وبضعفه — حتى بحرارته المرتفعة . لكنها لم تسعفه طبعاً . . ان الذي أسعفه هو السعال . . رن صداه في صدره وحلقه قوياً . وضخمه « هو » الى أبعد ما وسعه !

فاندفعت « هي » تصعد السلم بسرعة ، وأحاطت خصره حيث وقف يوليها ظهره ويسعل ويسعل وقد انحنى نصفين يرتكن الى الدرابزون أحاطته بذراعها كما تحيط الأم بولدها ، ودفعته مترفقة حانية الى داخل البيت .

ونسيت نفسها وغضبها وكرامتها . . ونسيت حقيبة ثيابها أسفل السلم وأجلسته بحنان دافق على مقعده الوثير المعتاد في حجرتهما . ثم انحنت تخلع عن قدميه الحذاء وتدلكهما لتدفئهما ، ثم دستهما في خف صوفي دافيء . وهرولت الى المطبخ وعادت مهرولة بكوب من شراب الليمون الساخن . وبقرص دواء . وأسقته الليمون بالدواء . وتحسست جبهته بجزع ممض . ثم هرولت ثانية الى خزانة الأدوية . . وجاءت بمقياس الحرارة ووضعته تحت لسانه ، ثم وقفت الى جواره تقبض على معصمه تعد نبضه ، وعينها على الساعة الدقيقة التي تلف معصمها هي في نعومة ورقة . ثم جذبت مقياس الحرارة من فمه وقربته من عينيها ، واقتربت هي كلها من مصباح النور . فتقبضت جبهتها وهرولت الى التلفون تستدعي الطبيب . و« هو » مستسلم لها استسلاماً تاماً . . !

لكنها عندما أدارت قرص التليفون ، سألها برقة .

— « كم وجدت حرارتي ؟ »

فاجابته لاهثة شاردة :

٣٦٫٨ درجة . .

فضحك ، بل قهقه يهتف :

— « لكنها يا عزيزتي حرارة طبيعية — اليست كذلك ؟ »

فأعادت السماعة مكانها بهدوء ، وهي تغمغم ذاهلة :

— « آه صحيح هذا ، والله ! »

فقام اليها .

وعندما ضمها الى صدره دون ان ينبس بكلمة ، استكانت في صمت تحت جناحه كاليمامة الوديعة ، تهدل وقلبها فراشة هائمة يسبح طائراً في دنياه !

— « قل لي حاجة ! »

— « لا لزوم للكلام ! »

ومن فوق رأسها المدسوس تحت ابطه ، تبسم يقول لنفسه :

— « أجل ، حبيبة هي وعذبة ، لكنها حمقاء حمقاء ! . متى تفهم — هيه ؟ متى ؟ متى تفهم أن الرجل اذا أحب ، لم يلتفت قلبه . . الى غير محبوبته وشريكة حياته . . لكن عينيه . . وذراعيه.. وشفتيه تقدر على مئات ! »

ثم فجأة ، تنبه لها .

تنبه أنها تسأله سؤالاً ملحاً وتكرره . . مرات ومرات — لا تتعب، لا تكل، لا تمل ! فلما تغصب يصغي اليها كي يعي ما تقول ، تبين أنها انما تسأله السؤال عينه الذي لا يتغير ولم يتغير ! سؤال لم تتعب من ترديده منذ زواجهما ، ولا زالت !

فزفر بلا صوت ، يدير عينيه نحو السماء !

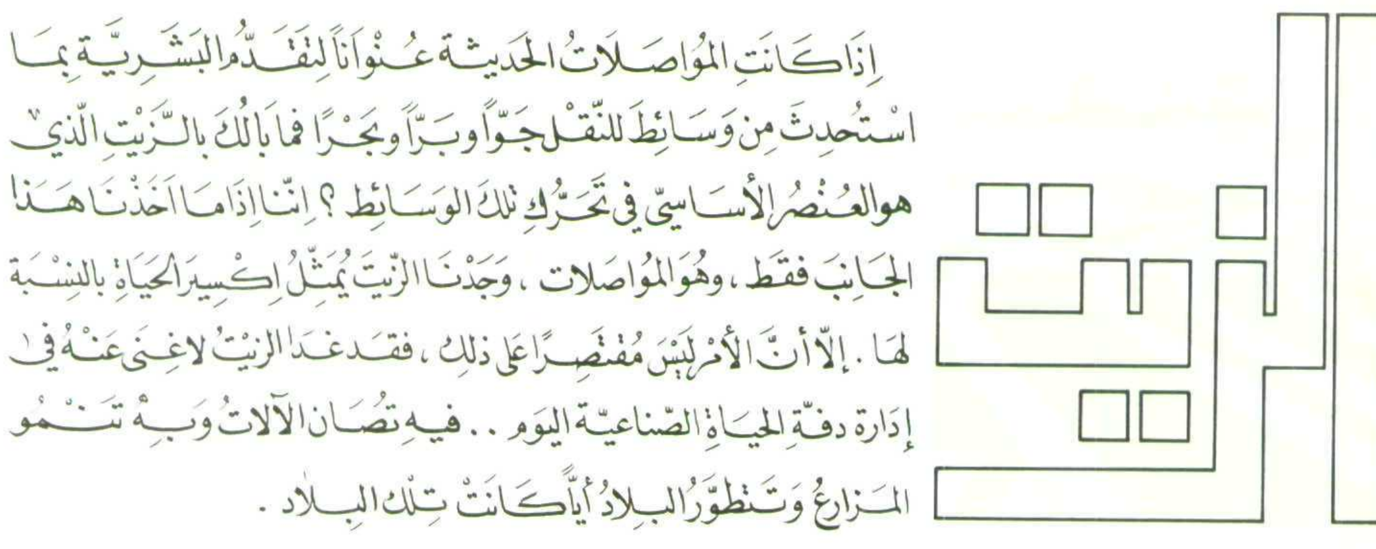
يا الهي — يا لهؤلاء النساء !

ومع ذلك ، رقق من صوته وشحنه بحرارة وهو يدس وجهه بين خصلات شعرها . . وأجابها هامساً والهاً مصطبراً ، ليريحها ويريح نفسه :

— « طبعاً يا حبيبتي — أحبك ! »

فانتشى قلبها فرحاً وجذلاً . . وصدقت واطمأنت وعم الوئام بينهما . . ■

جاذبية صدقي — القاهرة



الزيت

إذا كانت المواصلاتُ الحديثة عُنواناً لتقدُّم البشريّة بما استُحدث من وسائط للنّقل جوّاً وبرّاً وبحراً فما بالُك بالزّيت الّذي هو العُنصر الأساسيّ في تحرُّك تلك الوسائط ؟ إنّنا إذا ما أخذنا هذا الجانب فقط ، وهو المواصلات ، وجدنا الزّيت يُمثّل إكسير الحياة بالنسبة لها . إلّا أنّ الأمر ليس مُقتصراً على ذلك ، فقد غدا الزّيتُ لا غِنى عنهُ في إدارة دفّة الحياة الصّناعيّة اليوم . . فيه تُصان الآلاتُ وبه تنمو المزارعُ وتتطوّر البلادُ أيّاً كانت تلك البلاد .

في خدمة صناعة المواد الغذائية

المواد الغذائية على اختلاف أشكالها أصبحت تصنع اليوم في مصانع آلية لتوفر هذه المواد بكميات تفي بطلبات المستهلكين . وهذه المصانع تتخذ من الزيت وقودا لتشغيلها .

لقد اخذت صناعة المواد الغذائية ، أطعمة واشربة ، تزدهر في أيامنا هذه وتنمو بصورة كبيرة . وقد شمل نموها هذا مجالات عدة منها الحفظ والتصنيع ومنها التنويع والتعليب . وما كان لهذا النمو والازدهار ليتم لولا وفرة الزيت من جهة وظهور فن الطهو والاعداد وتقدم الوسائل العلمية والتقنية الحديثة من جهة أخرى ، حتى غدت مصانع تعليب المواد الغذائية والمرطبات من الأماكن التي تجتذب الزوار لمشاهدة مرافقها ومنشآتها .

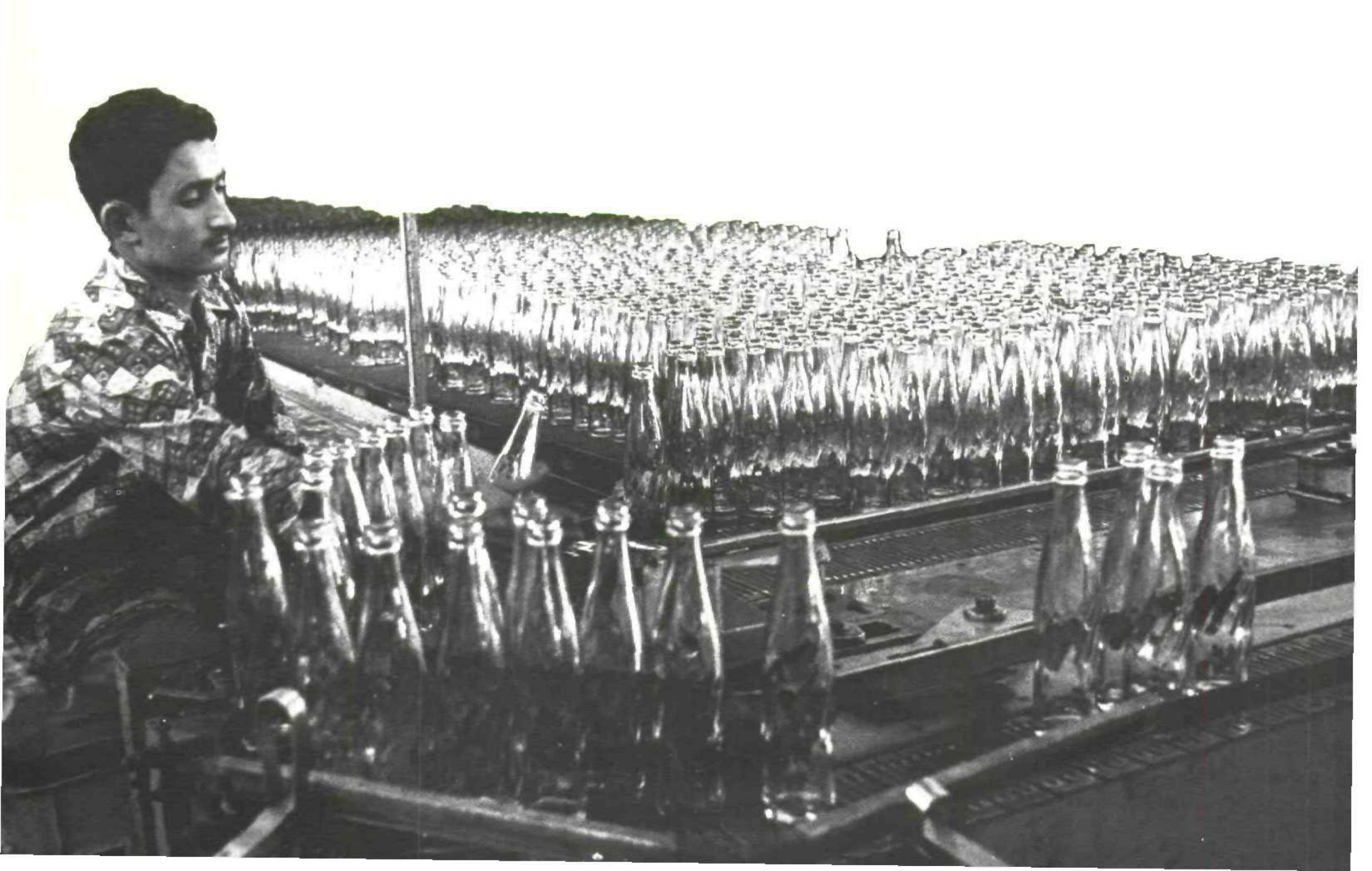
ان ما يقف خلف النكهة الطيبة والمذاق الجيد للاطعمة المحفوظة او المعلبة هو في الواقع « الآلة الحديثة » . فوحدة الانتاج في مصنع ما تكاد تكون سلسلة مترابطة الحلقات ، تدخل المنتوجات الزراعية في أحد طرفيها لتخرج من الطرف الآخر ، بعد أن تعرضت لسلسلة من العمليات ، في شكل علبة او قارورة محكمة الاغلاق كتب عليها نوعها ووزنها وما تحتويه من أصناف ومركبات وغير ذلك .

وآلات تصنيع الأطعمة عديدة متنوعة ، وقد صمم كل جزء منها ليقوم بعمل ما لا يقوم به غيره في نفس الجهاز . فمن الأجهزة مثلاً ، ما صمم لينزع حبوب الذرة من كيزانها ، ومنها ما صمم لتقشير الكمثرى او الطماطم ، ومنها ما هو خاص بتشريح ثمار الشمندر ، او تقطيع ثمار البطاطا الى شرائح متموجة او مشرشرة ، ويتم ذلك بسرعة فائقة يصعب على العين ملاحقتها . ومن الأجهزة ما صمم ليعمل بسرعة فائقة الى جانب الدقة ، كالآلة المختصة بتعليب الخضار الغضة كالهليون مثلا ، حيث تمسك بالأغصان الندية لهذه النبتة وتضعها في علبها بلطف ورشاقة حتى لا تتقصف اطرافها الهشة .

ومن الآلات ما صمم لتعليب بعض انواع اللحوم والأسماك ، فترى قطعها مرصوصة في العلبة وكأنها صفت بيد فنان بارع ، تأنى في صفها وتفنن في ترتيبها .

واذا ما زرت مصنعاً لتعليب المرطبات او عصير الفواكه والخضار فانك تعجب للاتقان والسرعة لهذه العملية ، حيث تشاهد القارورة او العلبة وهي تدور من مكان الى آخر وتنتهي في طرف الخط مغلقة مختومة فيها من السائل بقدر ما في غيرها ، من الوزن ، لا تزيد عنها ولا تنقص ، وقد يضطرب سمعك وانت تشاهد عملية التعليب ، بأصوات الدقدقة والخشخشة وتصادم القوارير والعلب بعضها ببعض وغير

أصبحت صناعة الأوعية من الصناعات المهمة التي تتطلبها الحياة العصرية ، وسواء كانت هذه الأوعية من المعدن أو الزجاج أو الورق المقوى فلا بد لآلاتها من وقود يديرها ، وزيت تشحيم يحفظها من التآكل والتلف .



ذلك من مختلف الأصوات المتنافرة ، ولكنك ستشاهد ، من خلال هذا أيضاً ، صورة متسقة منتظمة لسيل من القوارير والعلب المعبأة ، التي تأخذ طريقها الى الأسواق .

ان التوقيت في عمليات تعليب المواد الغذائية عامل مهم وحاسم في كل مرحلة من مراحل العملية ، حيث ان كل مرحلة مرتبطة بما قبلها وبما بعدها . فالعمل اذن يتطلب الانجاز باقصى سرعة مستطاعة وبأقل تبديد ممكن من الوقت . والتعليب غالباً ما يكون ضمن موسم معروف او فصل محدود . فمواسم الخضار والفواكه لا تنتظر ولا تحتمل التأخير ، والفصل الذي تتكاثر فيه الأسماك مثلاً محدود أيضاً ، وأي تأخير او عطل يحدث خلال ذلك فانه يهدد بخسارة فادحة من الوجهة الاقتصادية .

لكن عطب الأجهزة والآلات أمر يصعب التكهن به مقدماً ، وقد يحدث فجأة ولاسباب متنوعة ، ولذا يعتمد المشرفون على هذه المصانع على أمرين اثنين ليتجنبوا التعطل ويحدّوا من مدته الى اقل قدر ممكن ، اولاً بالصيانة الدورية الدقيقة ، وثانياً بزيوت التشحيم ذات الكفاية العالية .

والصيانة الدورية تحتاج في تعيين وقتها ونوعيتها الى الدقة . وكذلك الأمر بالنسبة لاختيار زيوت التشحيم وهذا كله يقع على عاتق المسؤولين في المصنع . لكن توفير الزيوت وزيوت التشحيم الممتازة يكون عادة من اختصاص شركات الزيت التي تعنى بتصنيع هذه الأنواع من المنتجات البترولية . وهذه الأنواع من الزيوت خاصة بوقاية الآلات من العطب والصدأ والتآكل وتسهيل حركة وسرعة الأجزاء المتحركة منها ، ولكن معظمها ليس بنقاوة المواد الغذائية المعلبة ، ولذا لا يمكن استعمالها في المواضع التي يحتمل ان تلامس الطعام او تختلط به .

ولتوفير الزيوت المطلوبة حسب المواصفات المحددة ، قامت شركات تصنيع المنتجات البترولية بتخصيص سلسلة كاملة من الزيوت وزيوت التشحيم المعدنية البيضاء ، المتفاوتة في درجات الليونة واللزوجة والاستعمالات ، لكي تفي بالمواصفات المطلوبة من حيث النقاوة والنظافة والصفاء . وهناك نقطة مهمة ما زالت تستأثر باهتمام المختصين وهي ان هذه الزيوت وزيوت التشحيم لا تحتوي على مواد اضافية الأمر الذي يعرض المعدات والآلات التي تستخدمها الى توقف عرضي ، والى تقليل مدة خدمتها او بمعنى آخر تقصير عمرها .

ومما لا شك فيه ان وقاية المعادن من التآكل أمر ضروري جداً ، وخاصة التآكل بالصدأ الذي قد يؤدي الى خسائر اقتصادية كبيرة في المواد والمعدات والزمن . واكثر استعمالات مواد التزييت يكون في المفاصل ونقط الارتكاز ذات الحركة المستمرة ، الغاية منها المساعدة على سرعة حركتها والتخفيف من احتكاك اجزائها بعضها ببعض ، ولذا يجب ان يتميز الزيت بأقل درجة ممكنة من اللزوجة للتخفيف من الاحتكاك ، ولكن ليس الى الحد الذي ينتفي معه غشاء الزيت بين أجزاء الآلة فيحدث تماس معدني . وتختلف درجات اللزوجة في الزيوت باختلاف اوجه استعمالها ، كما اسلفنا ، ويتوقف تعيين الزيت الملائم لعمل ما على عوامل السرعة والحمل وحرارة التشغيل . ففي حالات التشغيل الخفيفة تفي الزيوت التي تتميز بدرجة منخفضة من اللزوجة بالحاجة ، أما في حالات التشغيل الشاقة فيحتاج الأمر الى استخدام زيوت تتميز بدرجة مرتفعة من اللزوجة .

هذا من ناحية الزيت ، أما الشحم فغالباً ما يستعمل لتزييت المحامل (Bearings) المقاومة للاحتكاك حيث يلتصق في المكان الذي يوضع فيه ، فلا يلزم له غطاء ليبقيه في مكانه ولا يحتاج للتجديد بين فترة واخرى ، وفي الوقت ذاته يحول دون تسرب المواد الملوّثة لسطوح الآلات .

وعلى أية حال يجب أخذ جميع العوامل والاستعمالات بعين الاعتبار عند اختيار مادة التزييت ونوعها . ففي حالة ضغط الهواء تلزم زيوت شديدة التوازن بحيث تكون مقاومة للتأكسد ، كما يجب الا يغيب عن الذهن ، في حالة وجود ضغط غازي ، امكان حصول تفاعل كيماوي بين الغازات ومادة التزييت .

ومنذ حوالي عشر سنوات ، اشتركت بعض هيئات تصنيع الزيوت في انتاج نوع جديد من زيوت التشحيم يصلح لاجزاء الآلات التي تختص باغلاق علب الأطعمة المحفوظة اغلاقاً محكماً باللحام . كما وافقت احدى كبريات شركات تعليب المواد الغذائية الأمريكية على تجربة هذا النوع الجديد على اعتبار انه قد يصلح ليحل مكان زيت التشحيم المعروف الذي كان مستعملاً في ذلك الوقت .

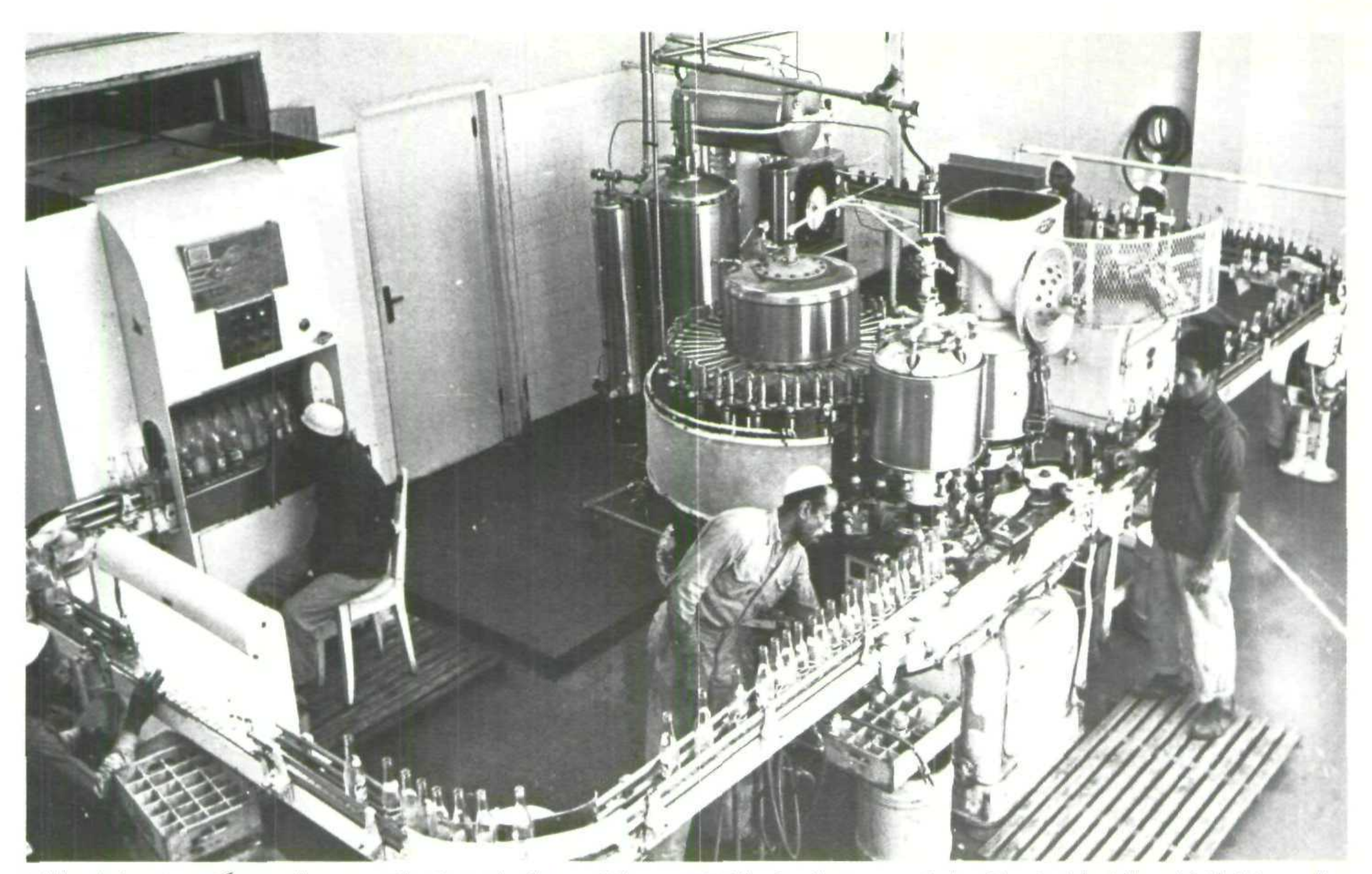
وظهر من التجربة ان هذا النوع الجديد كان دون المستوى المطلوب ، وانه يحتاج لاضافات اخرى ضرورية . فقامت شركة شيفرون للأبحاث وهي احدى الشركات التي أسهمت في تصنيع زيت التشحيم الآنف الذكر ، وأخذت تواصل



تحتاج الآلات المستخدمة في تعليب المواد الغذائية الى نوع خاص من زيت التشحيم لا رائحة له ولا طعم ، ولا ضرر منه على الأطعمة المحفوظة .

تعتبر صناعة الألبان ومشتقاتها من أهم المواد الغذائية التي تتطلب نظافة تامة وعناية فائقة ، كما تحتاج أجهزة إعدادها وتعبئتها لزيت تشحيم ذى ميزات خاصة .

جانب من مصنع تعليب الصلصة الحديث في الرياض .



تتطلب صناعة المرطبات والمياه الغازية عناية خاصة من حيث السرعة والاتقان ، وهاتان مهمتان لا تتمان الا بوجود الزيت كمادة وقود لتوليد الطاقة الكهربائية التي تدير المصنع ، وكمادة للتشحيم لاغنى عنها للآلات الميكانيكية المتحركة .

البحث والدراسة في المختبرات بالتعاون مع الفنيين العاملين في شركات تعليب المواد الغذائية ، بغية ايجاد نوع محسّن يطابق المواصفات ويفي بالاحتياجات . فأجرت العديد من التجارب والاختبارات وخاصة في المواسم والأوقات التي يصل العمل فيها الى ذروته .

وبعد أبحاث عديدة متنوعة تمكن الخبراء من توفير النوع المطلوب ، وما أن عرضوه في الأسواق حتى أعلنت احدى الشركات الكبرى المختصة بتصنيع آلات تعليب المواد الغذائية عن صلاحيته لمطابقته للمواصفات المطلوبة من قبل ادارة مراقبة صنع المواد الغذائية والأدوية .

والآن ، وبعد ان مضى حوالي عشر سنوات على نزول هذا النوع من الزيت الى السوق ، أصبح الطلب على شرائه ينمو بصورة مطّردة تتلاءم مع تزايد ونمو صناعة الأغذية ، الأمر الذي حدا بالشركة المنتجة الى توفير اربعة انواع مختلفة الدرجات من الشحم ومثلها من الزيت ، مع مطابقتها للمواصفات المطلوبة لآلات صنع المعلبات . كما أمكن توفير قائمة طويلة من الزيوت متفاوتة في درجات اللزوجة والمواد الكيماوية المضافة اليها بحيث تفي بجميع متطلبات الآلات من هيدروليكية وغيرها . وغدا بامكان المسؤولين في شركات صنع المواد الغذائية اختيار ما يناسب معداتهم الآلية في مختلف الظروف دون خشية من تلف قد يصيب المواد الغذائية ، او عطب يلحق بمعداتهم فيعرضهم للخسارة والضرر .

ان لون الزيوت المستعملة لآلات صنع المعلبات كالماء ، اي لا لون لها ، وهي كذلك مانعة للتأكسد والصدأ بقصد وقاية المعدات وحمايتها واطالة عمرها . ولون زيوت التشحيم أبيض شفاف ، وهي ايضاً لزجة ، وكالزبدة في تركيبها . وهناك نوع ثقيل من زيوت التشحيم يوصى باستعماله في الآلات التي تكون درجة الحرارة فيها عالية أثناء العمل . كتلك المعدات التي تستعمل لاغلاق العلب اغلاقاً محكماً ، فهذه تحتاج الى زيت تشحيم من نوع خاص يظل ثابتاً ويدوم مدة اطول في حالات العمل الشاقة .

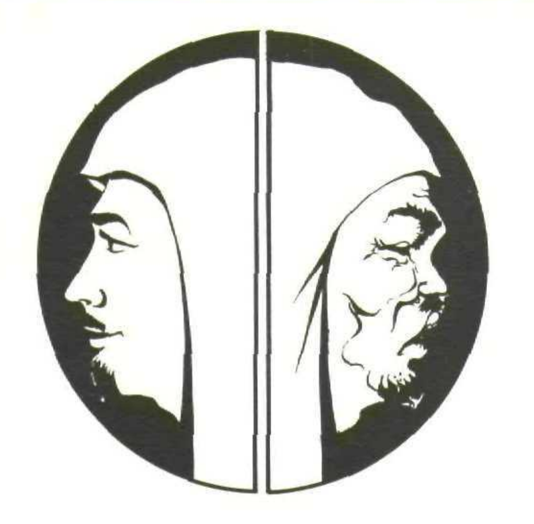
ان زيوت التشحيم والزيوت الأخرى المستخدمة في هذا المجال ، لا طعم لها ولا رائحة . وبعض مقوماتها مواد اضافية زيدت عليها . ونجد شبيهاً لها في انواع المأكولات امثال الدندرمة (Ice Cream) ورقائق الذرة المقطعة (Corn Flake) والأهم من هذا هو ان جميع هذه المقومات والمواد الاضافية تطابق تمام المطابقة المواصفات والمتطلبات التي وضعتها ادارة مراقبة صنع المواد الغذائية والأدوية ، وذلك للحيلولة دون حدوث ضرر ينتج عن استعمال هذه الزيوت في آلات التعليب . كما يتم تصنيع هذه الزيوت وزيوت التشحيم في معامل خاصة اتخذت فيها جميع الاحتياطات الصحية لتأمين نظافتها خلال جميع مراحل تصنيعها .

وما من شك في ان وجود هذه الزيوت قد وفر لأصحاب مصانع الأغذية والمرطبات الكثير من الثقة والاطمئنان الى سير اعمالهم كما هو مخطط لها بأقل قدر من العطب والتوقف . وقد أثبتت هذه الزيوت أنها لا تقل جودة عن مثيلاتها من الزيوت التقليدية بل انها تفوقها في قدرتها على الحد من الأسباب الرئيسية التي تصيب الأجهزة بالعطب ، وخاصة في مجال الوقاية من الصدأ . وهذا امر يهدف الى اطالة عمر المعدات واستمرارها في العمل والانتاج ■

ابراهيم أحمد الشنيطي — هيئة التحرير

لوحة من





بقلم : الأستاذ عبد العزيز الرّفاعي

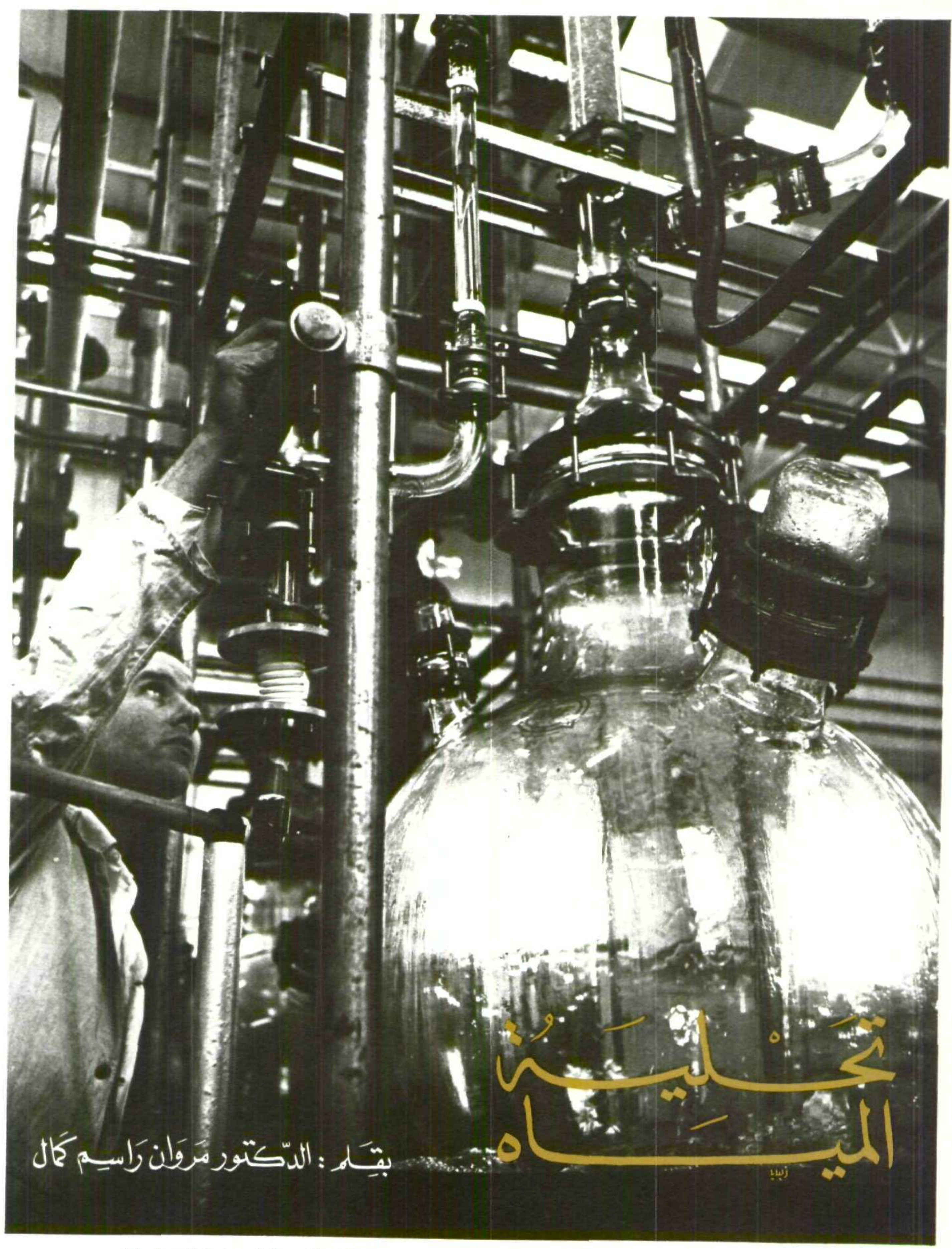
اللوحة . . فيها شبح شخصين : احدهما مقبل . . والآخر مدبر . . المقبل يبدو وكأنه حفي بصاحبه ، يرحب به ، ويدعوه . . والآخر يبدو معرضاً ، يتجهم لصاحبه ويزورّ عنه . . الأول كسته البشاشة جمالاً ، وطبعت على قسماته الرضا . . وبدت منه سيماء المروءة . . والآخر . . كسته الجهامة بشاعة ، وطبعت على ملامحه الحقد . . وبدا كأنه وحش ضار . . وحش له أنياب بارزة حادة . . وله اظفار طويلة كأنها مخالب . . فهو يخمش بهذه ، وينهش بتلك . .

ويبدو الشخص البشوش في الصورة ، وكأنما تلفه من البشاشة غمائم بيض ، توشك ان تحيله الى صاحبه ليلحق به ، ليستل من صدره الضغينة ، كيما يعود به صافي النفس ، مهندم الثياب . . جميل المنظر . . .

واللوحة من صنع شاعر مخضرم ، ادرك عهد الجاهلية ، وأدرك عصر الاسلام . . فأسلم واتصل ببعض الصحابة فأثنى عليهم ومدحهم . . انه معن بن أوس فلنسر معه في لوحته خطوة . . خطوة :

وذي رحم قلمت اظفار ضغنه
بحلمي عنه .. وهو ليس له حلم !
يحاول رغمي ، لا يحاول غيره
وكالموت عندي ان يحل به الرغم
وان أعف عنه ، أغض عيناً على قذى
وليس له بالصفح عن ذنبه علم
وان انتصر منه اكن مثل رائش
سهام العدو يستهاض بها العظم
فبادرت منه النأي ، والمرء قادر
على سهمه .. ما كان في كفه السهم
حفظت به ما كان بيني وبينه
وما يستوي حرب الأقارب والسلم
ويشتم عرضي في المُغيّب جاهداً
وليس له عندي .. هوانٌ ولا شتم
اذا سمته وصل القرابة سامني
قطيعتها .. تلك السفاهة والظلم
وان أدعه للنّصْف يأب ويعصني
ويدع لحكم جائر ، غيره الحكم
ولولا تقاء الله والرّحم التى
رعايتها حقٌ ، وتعطيلها اثم
اذن .. لعلاه بارقي وخطمته
بوسم شنار ، لا يشاكله وسم
ويسعى .. اذا أبني ليهدم صالحي
وليس الذي يبني كمن شأنه الهدم
يودّ لو اني معدمٌ ذو خصاصة
وأكره جهدي ، أن يخالطه العُدم
ويعتدّ غنماً في الحوادث نكبتي
وما ان له فيها سناء ولا غنم !
اكون له ان ينكُب الدهر مِدْرَهاً
اكالب عنه الخصم ان عضّه الخصم
وأدفع عنه كل أبلخَ ظالم
الدّ .. شديد الشّغب غايته الغشم
ويشركه في ماله ، بعد وُده
على الوُجد ، والاعدام ، قسْمٌ هو القسم
فما زلت في لين له وتعطف
عليه ، كما تحنو على الولد الأم
وقولي اذا اخشى عليه مصيبة
الا اسلم .. فداك الخال والأب والعم
وصبري على أشياء منه تريبني
وكظمي على غيظي ، وقد ينفع الكظم
لأستل منه الضّغن حتّى استللته
وقد كان ذا ضغن يضيق به الجِرم
فابرأت غلّ الصدر منه توسعا
بحلمي كما يشفى بالادوية الكلم
وأطفأت نار الحرب بيني وبينه
فأصبح بعد الحرب ، وهو لنا سِلم

عبد العزيز الرفاعي — الرياض



تحلية المياه

بقلم : الدكتور مروان راسم كمال

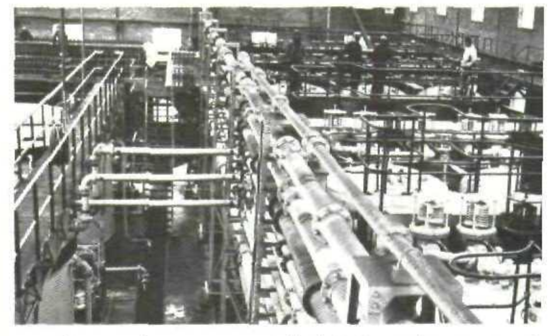
أحد الأجهزة الخاصة بدراسة مؤثرات التآكل الناجمة عن مياه البحر ، على المواد المستعملة في بناء محطات التحلية .



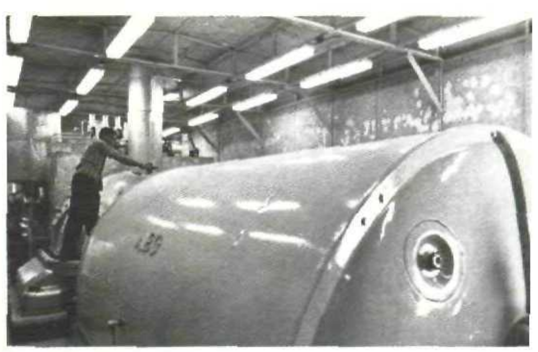
طريقة «التنافذ العكسي» من بين الطرق التقليدية المستخدمة حالياً في عملية « الزملحة – Desalination »



مهندس كيماوي سعودي يفحص عينات من الماء في المختبر الملحق بمحطة التحلية في جدة .



منظر عام لوحدات « التبادل الايوني – ion exchange » التابعة لاحدى محطات التحلية .. ومن ميزات هذه الطريقة العلمية أنها تعطي مياها ذات نسبة عالية من النقاوة .



احد الفنيين يتفقد جانبا من المولدات الكهربائية التابعة لمحطة التحلية في جدة .

الماء مادة اساسية للحياة ، وحاجة الانسان اليه كحاجته للهواء والغذاء ونور الشمس . وبينما يتوفر الماء في جزء كبير من العالم ، فان هنالك مناطق كثيرة في ارجاء المعمورة لا تزال تفتقر الى الماء الكافي وتعتمد على هطول كميات كافية من الأمطار في فصل الشتاء وتجميع ما يمكن تجميعه من مياه هذه الأمطار لسد حاجات السكان في أوقات الجفاف .

تغطي المياه اكثر من ثلاثة أرباع سطح كوكب الأرض ولكن معظم هذه المياه ليست صالحة للاستعمال المباشر حيث ان ٩٧,٢ بالمائة منها توجد في المحيطات كمياه ملحة ، والنسبة المتبقية اي ٢,٨ بالمائة هي مياه عذبة . غير ان هذه النسبة الضئيلة من المياه العذبة ليست كلها صالحة للاستعمال حيث ان ٢,١٥ بالمائة من الماء موجود كجليد في الأقطاب وليس صالحاً للاستعمال بالاضافة الى ٠,٣١ بالمائة يكمن في أعماق الأرض على مسافات بعيدة يجعل الاستفادة منه أمراً غير اقتصادي مما يجعل الكمية المتبقية من المياه المتوفرة والتي تشكل ٠,٣٤ بالمائة صالحة للاستعمال . ومن ناحية اخرى فان هذه المياه الموجودة في الانهار والبحيرات وفي الطبقة العليا من الغلاف الخارجي للأرض يضيع جزء كبير منها نتيجة لتدفق مياه الأنهار في المحيطات .

ان تزايد عدد السكان في العالم وتطور الصناعات التي تحتاج الى كميات كبيرة من المياه قد احدثا لدى الانسان قلقاً ازاء العواقب الخطيرة المترتبة على استنزاف الماء الصالح للشرب لسد حاجة الأجيال القادمة من مياه الشرب ، أضف الى هذا اخطار التلوث التي أحالت كميات كبيرة من مياه الأنهار والبحيرات العذبة في المناطق الصناعية الى مياه غير صالحة للشرب . وقد أدى هذا القلق الى انصراف العلماء الى البحث عن الطرق العلمية الكفيلة بالمحافظة على هذا المورد المائي الذي يعتبر من أهم الموارد الطبيعية بالاضافة الى ايجاد الطرق التي يمكن بها تأمين كميات اكبر من المياه الصالحة للاستعمال . ومن بين الطرق التقليدية المستخدمة حالياً في المحافظة على مياه الشرب ومواردها الطبيعية :

- تقليل استعمال المياه وحصر الاستهلاك لسد الحاجات الضرورية خاصة في المناطق التي تفتقر الى كميات كافية من الماء .
- بناء خزانات لحفظ المياه الفائضة عن الحاجة وتخزين مياه الأمطار لاستعمالها عند الضرورة .
- اعادة استعمال مياه دور المصانع والسكن بعد ان تجري عليها عمليات كيميائية لتنقيتها .

ومع ان استخدام هذه الطرق ما زال سارياً الا ان فائدتها باتت محصورة في المحافظة على كميات المياه المتوفرة فقط ، كما ان هذه الطرق ليست كفيلة بحل مشكلة نقص المياه التي تعاني منها البلدان الواقعة في المناطق الجافة وخاصة الساحلية منها ، او البلدان الصناعية التي تزداد حاجاتها الى الماء كنتيجة لازدياد عدد سكانها وازدياد متطلباتهم للماء العذب . وبما ان البحار تحتوي مـا يزيد على ٩٧ بالمائة من موجودات العالم من الماء فقد اتجهت هذه البلدان الى البحث عن الطرق المناسبة لتحلية مياه البحار .

طرق تحلية المياه المالحة

يعتبر الماء صالحاً للاستعمال عندما تقل نسبة الاملاح الذائبة فيه عن ٥٠٠ جزء بالمليون . ومع ان بعض المياه التي تتفاوت نسبة الأملاح فيها بين ١٥٠٠ و ٢٠٠٠ جزء بالمليون تستعمل في بعض المناطق الا ان الحاجة ، في أغلب الأحيان ، تدعو الى ضرورة تحليتها وتنقيتها حتى يصبح بالامكان استعمالها في الأغراض الصناعية . أما كمية الاملاح الذائبة في مياه البحار فتقرب من ٣٥٠٠٠ جزء بالمليون . في حين ان بعض البحار كبحر البلطيق تنخفض نسبة الملوحة فيه الى ما يقرب من ٧٠٠٠ جزء بالمليون بينما تبلغ نسبة الاملاح الذائبة في البحر الأحمر الى نحو ٤٣٠٠٠ جزء بالمليون . فكلما ازدادت نسبة الاملاح الذائبة في مياه البحر كانت عملية التحلية اكثر تعقيداً .

يوجد في الوقت الحاضر حوالي ١٤٠ مصنعاً لتحلية المياه منتشرة في مختلف انحاء العالم ، وتقدر طاقتها الانتاجية بنحو ٣٥٠ مليون جالون من الماء يومياً ويقع أكثر من ثلثي هذه المصانع في النصف الشرقي من الكرة الأرضية ، ويعتبر مصنع تحلية المياه في الكويت والبالغ انتاجه ٤٠ مليون جالون يومياً اكبر هذه المصانع .

مشاريع التحلية في المملكة العربية السعودية

لقد اولت وزارة الزراعة والمياه فكرة الاستفادة من مياه البحر اهتماماً كبيراً باعتبارها مصدراً

من مصادر المياه التي تعتمد عليها المملكة في توفير المياه للسكان وللأغراض الزراعية .. لذلك فقد اتجهت الى استغلال هذا المصدر المائي بالطرق العلمية الحديثة ، فأنشأت محطتين للتحلية في مدينتي الوجه وضبا ، وثالثة في مدينة جدة .. وبعد ان تبين للوزارة جدوى هذه المحطات في التغلب على مشكلة نقص مياه الشرب في المدن الساحلية منها ، وما يترتب على ذلك من فوائد اجتماعية واقتصادية ، شرعت في دراسة امكان انشاء محطات اخرى للتحلية في المدن الساحلية من المملكة .. وقد تم حتى الآن انشاء خمس محطات تحلية في جدة والخبر والوجه وضبا والخفجي .. وهذه الأخيرة ينتظر الانتهاء منها في نهاية العام الحالي .. هذا بالاضافة الى محطتين اخريين يجري العمل على انشائهما في الجبيل واملج .. وتبلغ القدرة الاجمالية لهذه المحطات السبع حوالي ١٣ ٠٠٠ ٠٠٠ جالون من الماء النقي يومياً .

ومن الطرق المستعملة حالياً في عملية تحلية المياه ، « التقطير — Distillation » و « التجميد — Freezing » و « التنافذ العكسي — Reverse Osmosis » و « التحليل الكهربائي — Electrodialysis » و « التبادل الايوني — Ion Exchange » .

طريقة التقطير

تعد هذه الطريقة اكثر عمليات تحلية المياه شيوعاً واستعمالاً حيث تبلغ نسبة استعمالها بما يقارب ٩٥ بالمائة ، وتستخدم هذه الطريقة في مصانع تحلية المياه في الكويت وفي المنطقة الشرقية والمنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية .

وتقوم عملية التقطير هذه على اساس تبخير الماء المالح مما يؤدي الى انتاج بخار يمكن تكثيفه الى ماء عذب في حين تبقى هناك كمية من الماء تحتوي على نسبة عالية من الاملاح وتحتاج هذه العملية الى طاقة معينة لرفع حرارة الماء الى درجة الغليان . ويستعمل البخار في معظم اجهزة التبخير لتسخين الماء ورفع حرارته الى درجة الغليان . ولتقليل كمية الطاقة الحرارية اللازمة لهذه العملية تصمم هذه الأجهزة تصميماً خاصاً بحيث تحتوي على عدد من المبخرات والمكثفات متصلة بعضها ببعض على التوالي . ومن ناحية اخرى يمكن استعمال بخار الماء الناتج عن عملية التبخير الأولى كمصدر للحرارة لتبخير الماء في العملية التي تليها والتي تتم على معدل ضغط منخفض وبمواصلة اجراء هذه العملية على مراحل متتالية فانه يمكن تخفيض كمية الطاقة اللازمة وبالتالي تخفيض التكاليف اللازمة للحصول على الماء النقي المطلوب . وجدير بالذكر ان هذه الأجهزة يجري تصميمها عادة بحيث تستطيع القيام بحوالي عشر عمليات تبخير متتالية .

طريقة التجميد

تعتمد هذه الطريقة على أساس تبريد الماء المحتوي على املاح بحيث ينتج طورين ، احدهما مكون من الجليد ويمكن اذابته الى ماء عذب ، والآخر مكون من ماء ملح عالي التركيز . ومع ان هذه الطريقة خضعت للعديد من الدراسات الا ان استعمالها على نطاق واسع لا يزال محدوداً نظراً لصعوبة تصميم اجهزة للتجميد ذات فعالية عالية لا تحتاج الى كميات كبيرة من الطاقة لتجميد الماء . ومع هذا فان هذه الطريقة تعتبر مشجعة مما يبرر استمرار القيام بمزيد من الدراسات والأبحاث الرامية الى تحسينها وزيادة فعاليتها .



فني يفحص عينة من ماء البحر المقطر في أحد المختبرات التابعة لشركة « جنرال الكتريك » ، لمعرفة نسبة نقاوتها وصلاحيتها للشرب .

التنافذ العكسي

وتتلخص هذه العملية في فصل الأملاح عن المياه الملحة عن طريق استعمال غشاء من نوع معين بحيث يسمح هذا الغشاء بدخول الماء ويمنع في الوقت نفسه دخول الأملاح التي يحتويها هذا الماء . وبما ان هناك دافعاً طبيعياً لجعل معدل التركيز متساوياً بين جهتي الغشاء ، اذن فان عملية انتقال الماء العذب خلال الغشاء الى المنطقة المحتوية على ماء ذي نسبة عالية من الأملاح لا بد من مواجهتها .. وللتغلب على ذلك ، فانه من الممكن وضع ضغط معين على الماء الملح للحيلولة دون تسرب الماء العذب في اتجاه الماء الملح . وتعتمد كمية الضغط هذه على نسبة كمية الملح الموجودة في الماء . وهذا الفارق بين الضغط المعاكس الذي يوقف تسرب الماء وبين الضغط التوازني على الماء العذب يعرف علمياً « بالضغط التنافذي » . هذا ، ويمكن نقل الماء العذب من منطقة الماء الملح عبر الغشاء عن طريق زيادة معدل الضغط على هذه المنطقة بحيث يصبح أعلى من الضغط التنافذي .

ومع ان هذه الطريقة تبدو وكأنها سليمة جداً من الناحية العملية الا ان هناك مصاعب فنية وعملية ما زالت تدعو الى اجراء مزيد من الدراسات لتذليلها ومن أهم هذه المصاعب هو ان الغشاء المستعمل فيها يتعذر عليه منع مرور بعض الأملاح الى الماء منعاً قاطعاً . وكذلك ازدياد تركيز الماء الموجود في المنطقة ذات الضغط العالي من الجهاز والتي تحتوي على الماء الملح اصلاً بالاضافة الى تراكم الاملاح على سطح الغشاء مما يسبب زيادة في الضغط التنافذي في تلك المنطقة الأمر الذي يترتب عليه انخفاض مقدار تسرب الماء العذب خلال الغشاء .

١ – وحدة خاصة باجراء الفحوص المختلفة لعينات من ماء البحر المعالج بطريقة التنافذ العكسي .

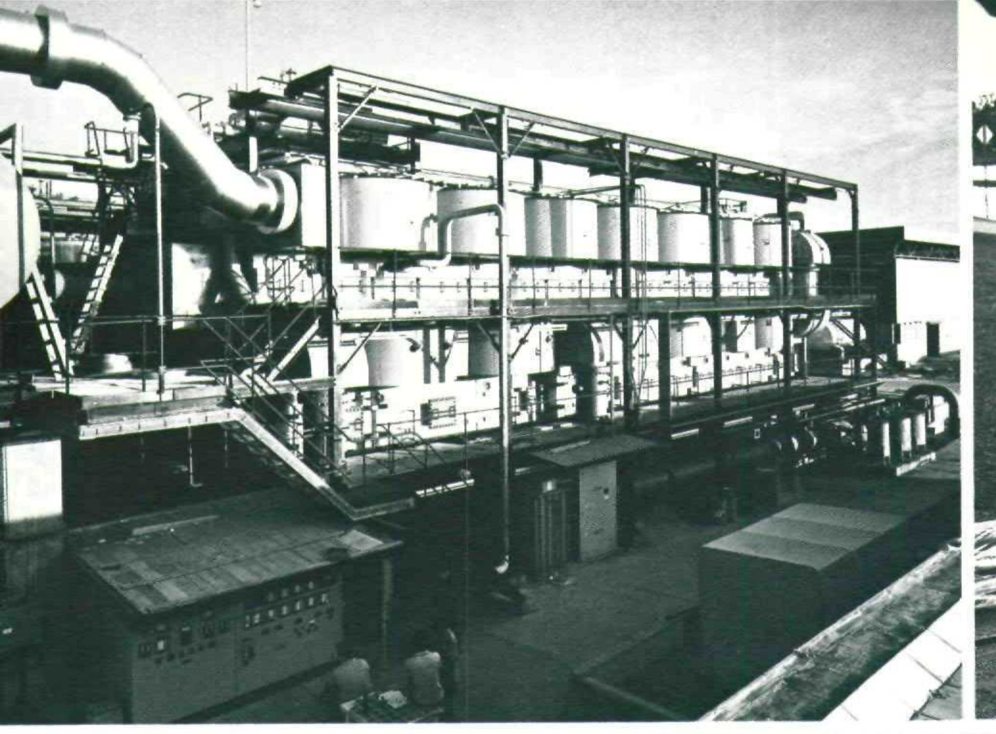
٢ – احدى محطات التحلية الثلاث التي أقامتها شركة « ديروستجراث » الأمريكية في أبو ظبي .. ويبلغ انتاج الواحدة منها ٢٫٤ مليون جالون من الماء النقي يوميًا .

٣ – وحدة فحص تجريبية تستخدم في تنقية المياه الكدرة من الشوائب .

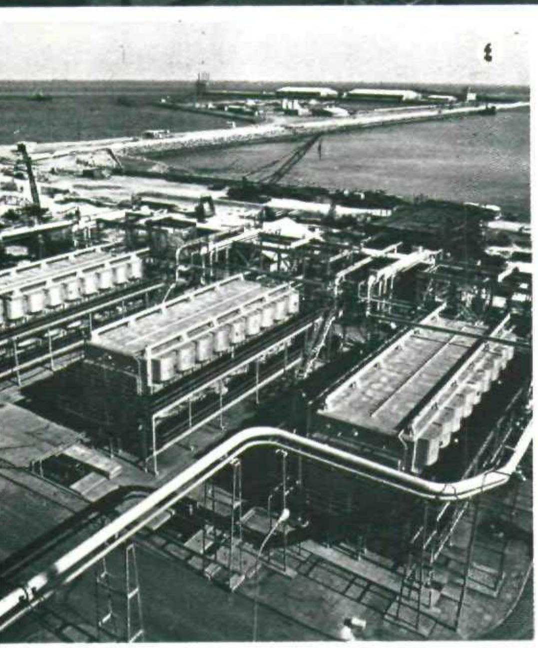
٤ – منظر شبه عام لثلاث من محطات التحلية التي توفر الماء النقي لسكان الكويت .

٥ – غرفة المراقبة التابعة لمحطة التحلية في جدة على البحر الأحمر ، ويرى فيها عدد من المهندسين المختصين يراقبون وحدات المحطة المختلفة .

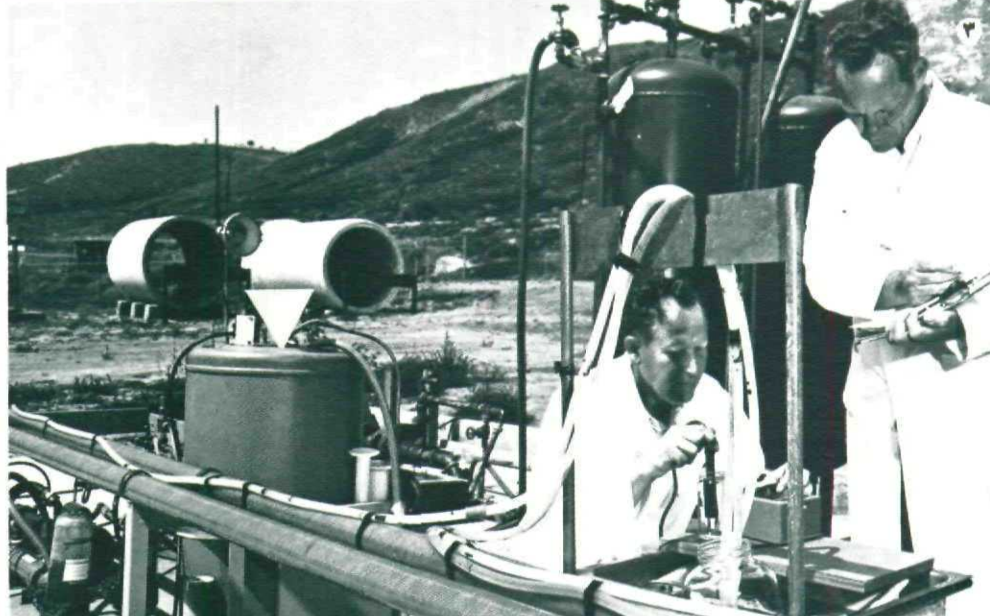
٦ – غرفة المراقبة في احدى محطات التحلية المنتشرة في الولايات المتحدة الأمريكية ، ويبلغ انتاجها اليومي مليون جالون من الماء النقي .







٤



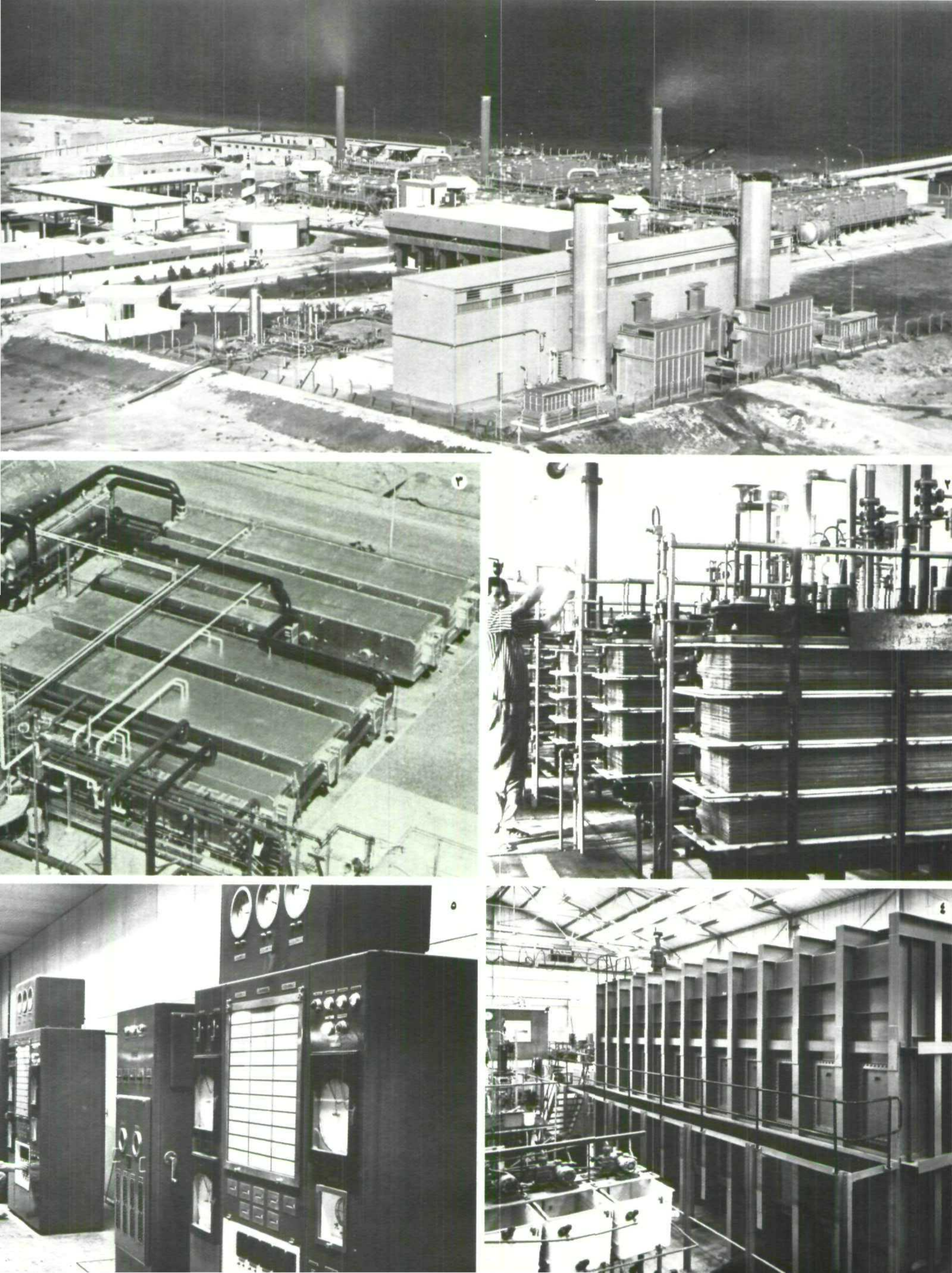
٣



٦



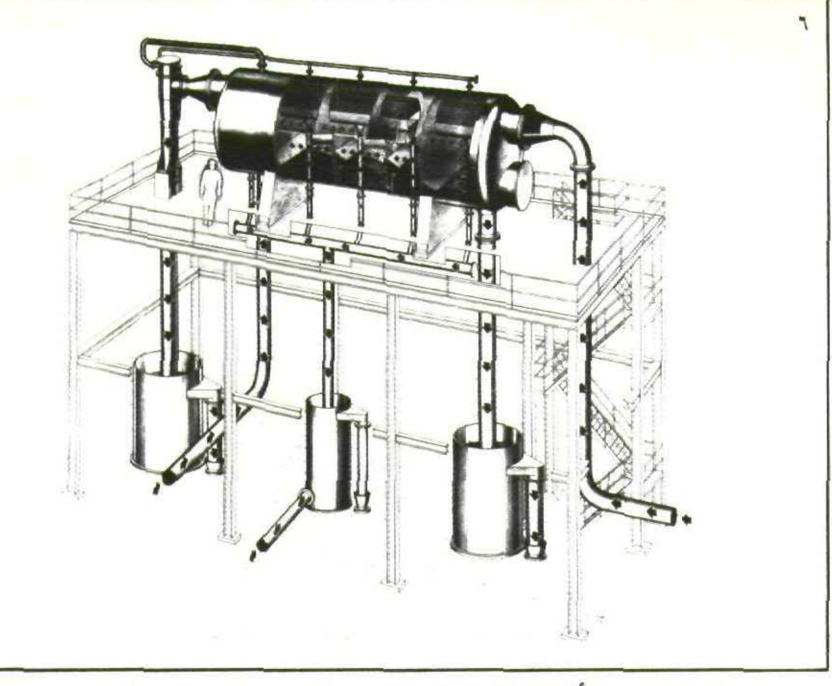
٥

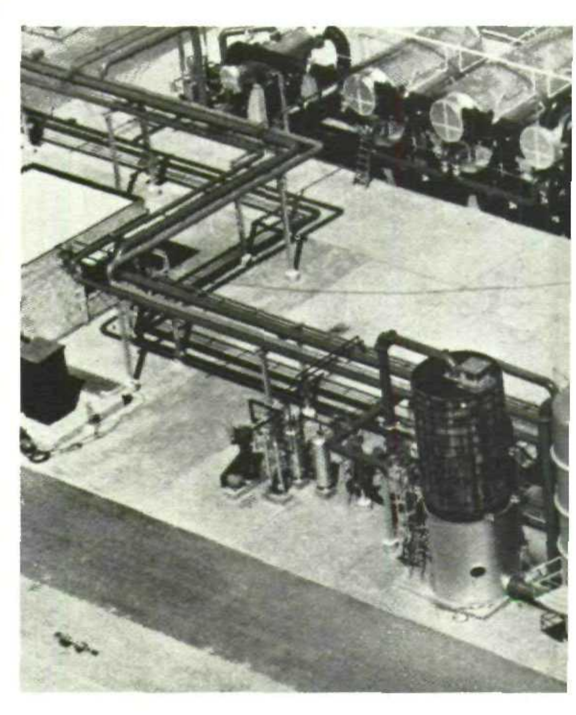


١ – منظر عـام لمبنى محطة التحلية في الخبر على ساحل الخليج العربي حيث تبدو الوحدات الثلاث المشتملة على مراجل ومبخرات ، كما تظهر ، الى اليمين ، وحدة التربينات الغازية .

٢ – جانب من محطة للتحلية في ليبيا ، وهي مزدوجة الغرض أي انها توفر الماء النقي والقوة الكهربائية في آن ومن مصدر واحد للطاقة . وتبلغ طاقتها الانتاجية ١١٥ ألف جالون من الماء النقي يوميا .

٣ – أحـد معامل التحلية الضخمة التي أقامتها الولايات المتحدة لتكرير المياه الملحة ، ويعتبر هذا المعمل من أكبر معامل التحلية في العالم فعالية ، وتبلغ طاقته الانتاجية مليون جالون من الماء النقي يوميا .





وهناك نوعان من الأغشية المستعملة في هذه الطريقة ، احدهما من نوع « اسيتات السيلولوز » والآخر من لدائن تشبه في تركيبها النايلون . ولكن هذه الغشاءات لا تزال محدودة الاستعمال للاسباب التي ذكرنا بعضها آنفاً ، ويقتصر استعمال طريقة التنافذ العكسي هذه على المياه ذات الملوحة المنخفضة وليس على مياه البحار .

طريقة التحليل الكهربائي

ان الاملاح الذائبة بالماء تتحول الى ، إيونات ذات شحنات موجبة واخرى سالبة . واذا ما وضع في هذا الماء قطب موجب وآخر سالب وسرى تيار مباشر بين هذين القطبين فان الايوانات ذات الشحنة السالبة تنتقل الى القطب الموجب ، بينما تنتقل الايونات ذات الشحنة الموجبة الى القطب السالب . وتعتمد عملية التحليل الكهربائي لتحلية المياه على وضع غشاءات من نوع خاص بطريقة متوالية بين القطبين نصفها يستقبل الايونات ذات الشحنة الموجبة والنصف الأخر يستقبل الايونات ذات الشحنة السالبة . واذا وضعت فواصل كهربائية بين هذه الغشاءات فستتكون هناك منطقتان احداهما تحتوي على ماء ذي نسبة منخفضة من الأملاح والأخرى على ماء ذي نسبة عالية من الأملاح .

ان هذه الطريقة الخاصة بتحلية المياه مغرية لكونها سهلة التصميم والاستعمال ، ولأن الأملاح (عن طريق الايونات) هي التي تنتقل خلال الغشاء وليس الماء كما هي الحال في طريقة التنافذ العكسي الآنفة الذكر . ولكن لا تزال هناك صعوبات يجب التغلب عليها ، كزيادة مدة استعمال الغشاءات المستعملة وتحسينها بحيث يقل الخطر الذي قد ينجم عن صلاحيتها مع الاستعمال .

طريقة التبادل الأيوني

قام الكيميائيون قبل حوالي ثلاثين عاماً بتحضير « راتينجات عضوية – Organic Resins » باستطاعة بعضها استبدال ايونات الهيدروجين الموجبـة بأي أيون آخر موجود في الماء يحمل شحنة موجبة ، وكذلك استحضروا نوعـاً آخر باستطاعته استبـدال ايونات « الهيدروكسيل » السالبة بالايونات الأخرى التي تحمل شحنات سالبة . ولهذا ففي حال مرور ماء يحتوي على املاح خلال النوع الأول من هذه الراتينجات ومن ثم النوع الآخر ، فانه يغدو بالامكان ازالة الاملاح المذابة بالماء والموجودة على شكل ايونات وبالتالي الحصول على ماء نقي صالح للشرب .

هذا وقد ادخلت مؤخراً تحسينات على هذه العملية وذلك عن طريق تحضير انواع جيدة من الراتينجات العضوية بالاضافة الى تطوير أجهزة خاصة تعمل بطريقة متواصلة مما يعزز امكان استغلالها على نطاق اوسع لازالة الاملاح من المياه العسرة والمتوسطة الملوحة .

ومن الجدير بالذكر ان هذه الطريقة الخاصة لتحلية المياه تعطي مياهاً ذات نسبة عالية من النقاوة ■

د. مروان راسم كمال
كلية البترول والمعادن – الظهران

٤ – وحـدة تجريبية تابعة لأحد مراكز الأبحاث المختصة بتطوير معامل التحلية التي تربو طاقتها الانتاجية على ٥ ملايين جالون من الماء النقي يوميا .

٥ – أحـد الأجهزة المستخدمة في طريقة التبادل الأيوني الخاصة بتحلية المياه .

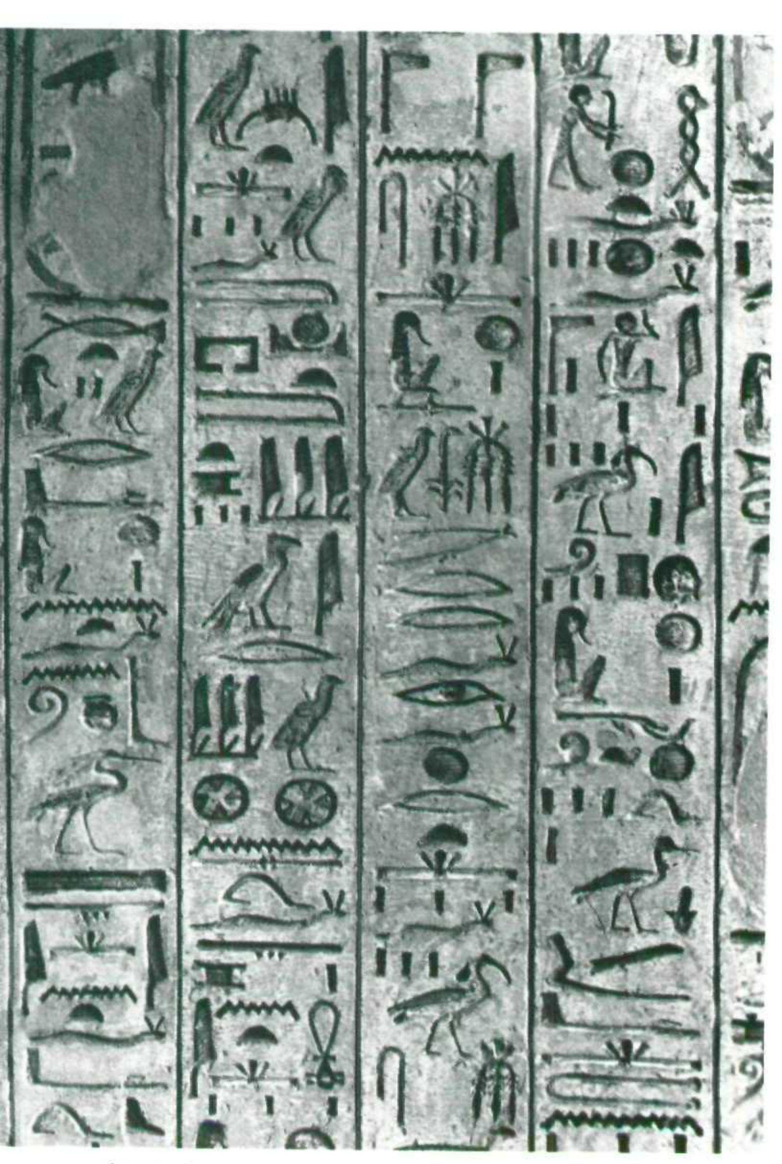
٦ – رسم لاحدى الطرق العلمية المستخدمة حاليا في عملية تحلية مياه البحر ، وهي تعتمد على مبدأ « الحرارة المتبددة – waste heat » .

تصوير : « أوثنتيكيتد نيوز » وشيخ أمين وعلي محمد خليفة

من مصادر التاريخ المصري

عصر ما قبل الأسرات

بقلم: الأستاذ محمّد زكي راغب



مجموعة من الرسوم والأشكال المنقوشة التي تزدان بها معابد الكرنك الأثرية .



جانب من معالم معبد الكرنك بالدير البحري .

في حوالي عام ٢٤٠٠ قبل الميلاد ، كانت الحضارة المصرية قد وصلت الى درجة متقدمة الى حد ما وقد انقسمت مصر الى مجموعتين من الأقاليم ، احداهما في الشمال يحكمها ملك ، واخرى في الجنوب ويحكمها ملك آخر .

وكان لملك الدلتا تاج خاص به ذو لون احمر ، ولملك الصعيد تاج ذو لون آخر . وفي وقت من الأوقات تغلبت الدلتا على الصعيد وكونت مملكة واحدة ، واصبحت مدينة « هيراقونيوليس » ومكانها الآن الكوم الأحمر ، وكانت تسمى « نخن » الواقعة شمال مدينة « ادفو » ، مركزاً رئيسياً لممارسة الطقوس الدينية في العصر الذي نسمية عصر ما قبل الأسرات .

ولم يعد امر الاتحاد الأول في مصر فرضاً من الفروض كما كان من قبل . بل أصبح الآن حقيقة ثابتة. وكانت عاصمة تلك المملكة الموحدة هي « هليوبوليس » الواقعة على مقربة من مدينة القاهرة الحالية .

ولكن قبل ذلك الاتحاد، كانت مدينة «بوتو» الواقعة في غرب الدلتا ، عاصمة مملكة الدلتا . وقد اتخذ ملكها نبات البردي شعاراً له . وكانت مملكته تشمل الدلتا وجزءاً قليلاً من مدخل الصعيد . اما ملك الصعيد فقد كانت عاصمته في « الكاب » وهي تقع امام الكوم الأحمر « هيراقونيوليس » . وقد اتخذ نبات الزنبق او ما يعرف باسم « سوت » شعاراً له ، وامتدت حدود مملكته هذه حتى وصلت جنوباً الى شلال اسوان . هذا وكان الملك ، عند توليه العرش يعطى الى جانب اسمه الأصلي اسماً آخر هو « الحورى » . وكان يستخدم كلا الاسمين او احدهما . فلما توحد الشمال والجنوب ، كان الملك يلبس تاجاً يجمع بين التاجين وهو التاج المزدوج ، واحتفظ بلقب « حورس » كما كان يفعل الملوك من قبل .

وفي ذلك العهد شهدت مصر ولادة اختراع هام احدث تطوراً كبيراً في حضارتها ، ذلك هو اختراع الكتابة واستخدامها على بعض الاثار في فترة ما قبل عصر الاسرات ، وكان لظهور هذه الكتابة الأثر الكبير في الوقوف على كثير من الأحداث التاريخية التي جرت قبل عهد حكم الاسرة الأولى .

وبالرغم من انفصام عرى الاتحاد الأول بين الدلتا والصعيد واستقلال كل منهما عن الآخر ، فان روابط الاتصال بينهما ظلت قائمة ولم تتأثر كثيراً بذلك ، اذ كان النيل يسهل التجارة بين البلاد، وكانت التجارة بدورها تساعد على نشر الثقافة . الا ان ملوك الصعيد وحكامه كانوا يحاولون الاستيلاء على الدلتا كما تدلنا مشاهد الحروب والمعارك العديدة على اثار ذلك العهد .



جانب من طريق الكباش الواقع ضمن معبد الكرنك في مدينة الأقصر .

لقد استكملت مصر كثيراً من مقومات حضارتها بعد ظهور الاسرة الأولى ، اذ شهدت ابان عهدها تقدماً في اساليب الزراعة ووسائلها وعرفت الكثير من نظم الري وخاصة في شق الترع . وتغلبت على الصحراء والمستنقعات فاستقطعت الكثير منها واحالته الى بقاع صالحة للزراعة . . كما عرفت ايضاً طرق استخراج بعض المعادن وبخاصة الذهب والنحاس من مناجم الصحراء الشرقية واتقنت قطع الأحجار الصلبة وصنعت منها الأواني والقدور وعرفت صناعة النحت . . كذلك عرف المصريون استخدام الحجر في بناء بيوتهم وان لم يستعملوه على نطاق واسع . . ففي ذلك العهد كان المصريون يعيشون في منازل مبنية بالطين او من اغصان الأشجار او النباتات . ومع ذلك ، تقدموا في كثير من نواحي الفن ، وأحسنوا استخدام مياه النيل ، واتقنوا بناء الجسور لحماية انفسهم من هجمات الغزاة . ودجنوا بعض الحيوانات النافعة لهم .

وهكذا يتضح لنا ان الحضارة المصرية قد استكملت معظم مقوماتها الحضارية ولم يكن ينقصها سوى القوة الدافعة . غير ان هذه الأمنية لم تلبث ان تحققت وذلك عندما ظهر زعيم قوي في جنوبي مصر هو زعيم اقليم « ثنى » الواقع بين جرجا والبلينا ، فوحد البلاد كلها واصبح اول ملوك مصر في عهد الاتحاد الثاني وهو الملك « منا » ، وكان عهده ايذاناً ببدء عصر جديد .

ومن ناحية اخرى ، فقد لعب ورق البردي دوراً كبيراً في نشر العلوم والآداب في العالم القديم وما زال اسمه يحتل مكاناً مرموقاً في صناعة الورق .

ومن نبات البردي استخدم المصريون اليافه لصنع البرديات التي اكتشفت سليمة وكاملة في بعض مقابرهم مع الصور الملونة لبعض الطيور والحيوانات .

وللفراعنة فضل آخر لا يمكن اغفاله او التغاضي عنه ، فالمقابر المقامة في مدينة « طيبة » ومعابدها وما تحمله من رسوم ترمز لممثلي الشعوب المختلفة وهم يقدمون الجزية والهدايا الى فرعون مصر ، وكذلك الرسوم التي تمثل شعوب جزر البحر الأبيض وآسيا الصغرى وبلاد الرافدين وفلسطين والسودان وليبيا وغيرهم من الشعوب التي تحالفت معهم ، كل هذه الاثار تشير الى ان ممثلي تلك الشعوب ومعهم صناعات بلادهم المختلفة واسلحتهم وخيرة انتاجهم من محاصيل ومعادن واحجار كريمة وغيرها كانت تقدم الهدايا الثمينة الى فرعون مصر .

وكان نفوذ مصر الثقافي والتجاري في فلسطين كبيراً منذ اقدم العصور ، كما كان للأدب المصري والغناء والموسيقى اثر مرموق في جميع الأزمنة وقد تزايد هذا الأثر في ايام حكم « اخناتون » الذي دعا الى عبادة اله واحد وكانت تلك الدعوة هي الصيحة الأولى المعروفة في تاريخ البشرية التي تقرب من التوحيد الذي جاءت به الكتب السماوية فيما بعد .

وادي الملوك

هو واد مغلق ضيق يقع في البر الغربي للنيل ، خلف صخور جبال مدينة طيبة الأثرية الغابرة . وهو من الناحية الجغرافية اخدود غير عميق تحيط به المرتفعات ، يواجه من الناحية الشرقية معابد « الكرنك » التي تبعد عنه نحو ثلاثة كيلومترات .

وقصة اختيار هذا الوادي مكاناً لدفن الموتى من الملوك جديرة بالتسجيل ، فقد رأى « تحتمس الأول » ان يختار قبره في واد منعزل خلف صخور « طيبة » حفظاً لجسده وصيانة له من ان تمتد اليه ايدي اللصوص .

وكان المصريون القدماء يعتقدون بالخلود . وكانت وسيلتهم لتحقيق هذا ان عنوا بأمر موتاهم واعداد اماكن محصنة للدفن . ولم يدخروا وسعاً في احضار حجارة التوابيت الضخمة من أماكن بعيدة . وقد كانت المقبرة في اللغة المصرية القديمة تعني « المقر الخالد لملايين السنين » .

ومنذ العصور السحيقة حتى عهد ما قبل الاسرات ، اختاروا مقابرهم على حافة الصحراء بعيداً عن ارض الوادي الزراعية التي تغمرها مياه الفيضان سنوياً ، او على سفوح التلال الصخرية حتى تكون بعيدة عن متناول ايدي اللصوص والعابثين ، وكذلك لتكون بعيدة عن عوامل الفناء الطبيعية ، كالرطوبة التي تحلل الأجساد وتفنيها .

كانت المقابر مجرد حفر بيضاوية او مستديرة تحيط بها غرف واسعة ، تحفر وسط الصخور ، ويوارى فيها رفات الميت بعد ان يشكل على هيئة القرفصاء ، وذلك بضم اليدين الى جانب الرأس ، والركبتين الى الصدر وأسفل الذقن وذلك تمثيلاً بوضع الجنين في بطن أمه ، ويزود بمجموعة من الأواني الفخارية وقد ملئت بانواع الطعام كالحبوب والشعير بصفة خاصة والخضر واللحوم ، واسلحته من رماح وسهام ، وادوات الزينة ، كالاساور والعقود المصنوعة من حبات الخرز والأحجار الكريمة ، والأمشاط من العظم والصدف .

وهكذا زود المصري القديم نفسه بطعامه وشرابه واثاثه وادوات الصيد والقتال لينتفع بها في حياته المستقبلة حسب تصوره والتي كان يؤمن بها .

كان « تحتمس الأول » اول من شيد مقبرة له في وادي الملوك ، وتلاه « تحتمس الثاني » الذي شيد مقبرته في بطن أخدود غير بعيد عن مقبرة الملك « تحتمس الأول » .

اما الملكة « حتشبسوت » التي انتزعت الحكم من أخيها تحتمس الثاني ، فقد شيدت لها مقبرتين ، الأولى وتقع في منتصف جدار صخري يبلغ ارتفاعه نحو ١٠٠ متر في اقصى غرب الوادي ، وارادت ان تواجه مقبرتها من الناحية الشرقية معبد « الدير البحري » الذي أقامته . أما مقبرتها الثانية فقد شيدتها خلف الحاجز الصخري الذي يفصل بينها وبين « الدير البحري » ، وكانت تهدف من وراء ذلك ان تكون قاعة الدفن تحت غرفة مزار المعبد مباشرة ، ولكن الذين شيدوا المقبرة لم يحققوا هدف « حتشبسوت » ، اذ اتجهوا صوب اليمين لأسباب غير معروفة ، وربما تعود الى طبيعة الصخور او الى خطأ في الاتجاه .

وشيد « تحتمس الثالث » مقبرته في مكان صخري غير مطروق في أقصى جنوب الوادي ، قريباً من مقبرة « تحتمس الثاني » وتماثلها في هندستها . واختار « امنحوتب الثاني » مقبرته في قاع أخدود في اقصى الجنوب ، غير بعيد عن مقبرة « تحتمس الأول » . وتلاه «تحتمس الرابع »، وقد شيد مقبرته بجوار مقبرة الملكة « حتشبسوت » القريبة من معبد الدير البحري .

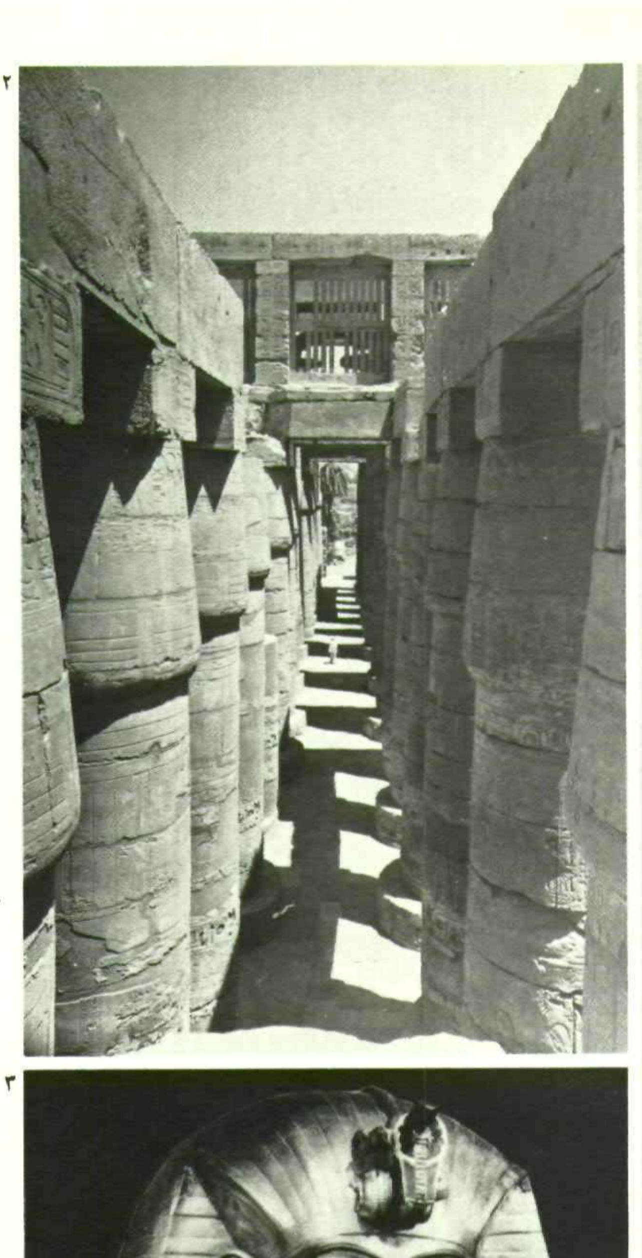
١ – احدى المسلات الضخمة التي يرجع تاريخ بنائها الى عهد الملكة « حتشبسوت » .

٢ – بعض الأعمدة الضخمة التابعة لمعبد الكرنك تزينها الرسوم والنقوش الفرعونية القديمة .

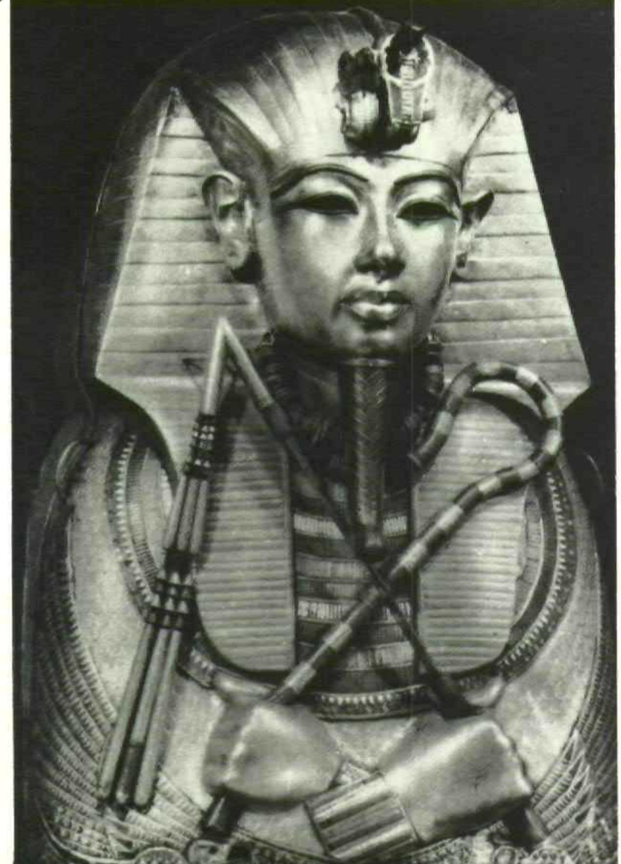
٣ – تمثال الملك الشاب « توت عنخ آمون » ، وهو مصنوع من الذهب الخالص .

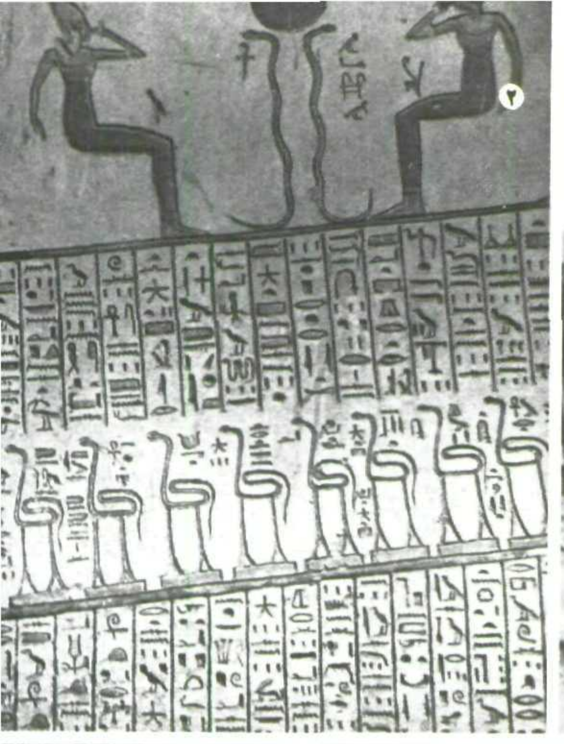
١

٢



٣





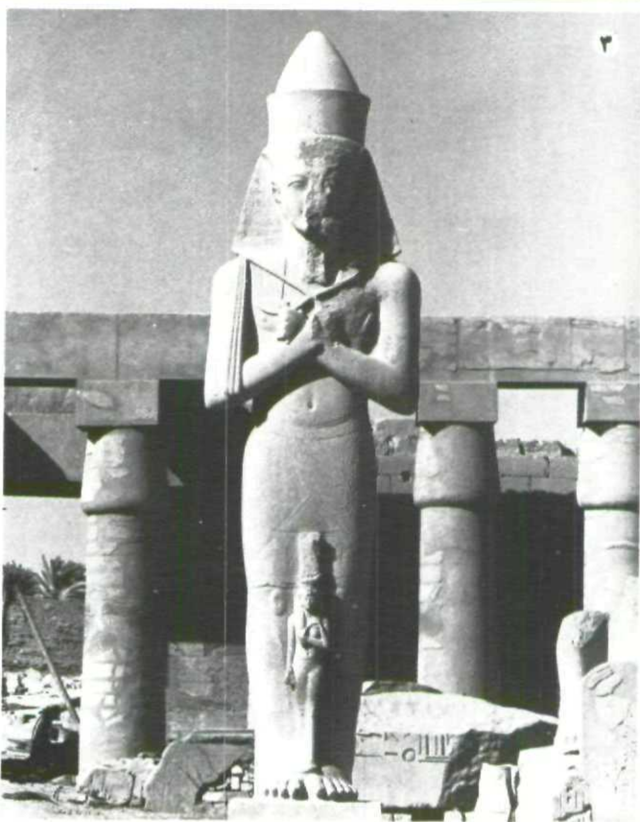
٢



١



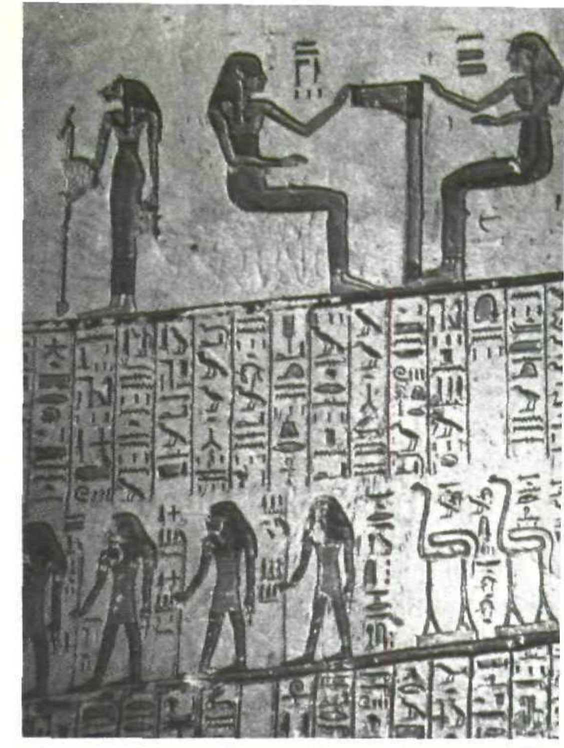
٥

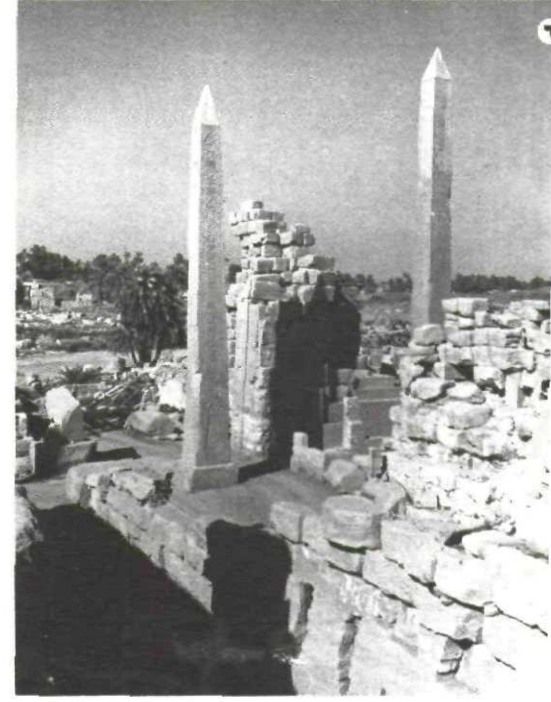


٣



٤





١ – منظر عام لمعبد الكرنك الواقع في مدينة الأقصر الأثرية في مصر .

٢ – معظم جدران المقابر في وادي الملوك القريب من معابد الكرنك تزدان بالرسوم والنقوش والكتابة الهيروغليفية .

٣ – نصب تذكاري لأحد ملوك مصر القدماء في معبد الكرنك بمدينة الأقصر .

٤ – معبد الكرنك من أهم مصادر مصر التاريخية ، وهو مقصد السياح والزوار .

٥ – آثار فرعونية مازالت ماثلة للعيان .

٦ – اثنتان من المسلات الأربع التي أقامتها الملكة «حتشبسوت» بالقرب من معبد « آمون » في الكرنك .

وفي هذه المقبرة حدث تطور في هندسة المقابر ، فاصبح مدخلها أكثر فخامة من مداخل المقابر الأخرى . واختار « امنحوتب الثالث » موقعاً جديداً لمقبرته في واد خلفي لم يسبق الدفن فيه ، وهذه المقبرة أقل حجماً من بقية المقابر الملكية . أما « اخناتون » فقد شيد مقبرة له في وادي الملوك ولكنه لم يدفن فيها ، لأنه نقل عاصمة ملكه الى « تل العمارنة » ، وهناك شيد له مقبرة تقع شرقي المدينة دفن فيها بعض الوقت ، ثم نقل رفاته في عهد الفراعنة الذين تولوا العرش من بعده الى وادي الملوك .

ودفن الملك « توت عنخ أمون » في مقبرة متواضعة في موقع يتوسط الوادي بجوار الملكة « تي » واخناتون والد زوجته .

وشيد الملك « سيتي الثاني » مقبرته خلف مقبرة « تحتمس الأول » ولكن هذه المقبرة لم يتم العمل فيها . واختار الملك « ست ناخت » موقع مقبرته بجوار مقبرة « تحتمس الثالث » ، واثناء حفرها تداخلت فيها فاضطر الى هجرها .

حدث بعد ذلك شيء جديد في وادي الملوك ، فبعد وفاة « ست ناخت » تولت الحكم زوجته الملكة « تا اوسرت » ، وكان وزيرها « باي »،فلما توفي شيدت له مقبرة في الوادي بالقرب من مقابر « ست ناخت » و « تحتمس الأول » .

ولما مات الملك «رمسيس الثالث » لم يدفن في مقبرته التي شيدها اذ وُجد ان احجارها هشة فأهملت ، ودفن في مقبرة « ست ناخت » بعد ان عدل فيها وجعلها تليق باستقبال مومياته .

وفي وادي الملوك اثنتان وستون مقبرة لملوك وأمراء الفراعنة ، وقد ذكرنا فيما سبق اهم مقابر وادي الملوك .

وادي الملوك بعد الفراعنة

أوقف استعمال وادي الملوك كمقبرة للفراعنة سنة ١٠٩٠ قبل الميلاد ، واصبح في حراسة الدولة واعلن الكهنة ان هذا الوادي أصبح بقعة مقدسة لا يسمح لأحد بارتياده .

والواقع انه صار وادياً مهجوراً يرتاده لصوص المقابر الذين بدأوا يمارسون هذا العمل منذ عهد الملك « اخناتون » سنة ١٣٧٥ قبل الميلاد حيث ضعفت سطوة الفراعنة ، واختل النظام والأمن ، فجرؤ اللصوص على نهب المقابر الملكية ، ولما عجز الحكام عن ايقاف اللصوص عند حدهم ومنعهم من نهب المقابر والاستيلاء على الحلي الذهبية من المومياءات ثم تهشيمها فيما بعد ، وتكسير الأثاث والأواني الجنائزية جمعوا ما استطاعوا جمعه من المومياءات التي نجت من التهشيم ونقلوها الى مخبأ « الدير البحري » ،كما نقلوا بعض المومياءات ايضاً الى مقبرة « امنحوتب الثاني » . ولم ينج من ايدي اللصوص غير ثلاث مقابر ، هي مقبرة الملكة « تي » ، ومقبرة « توبو » ، ومقبرة الملك « توت عنخ أمون » . ومنذ اكتشاف مقبرة « توت عنخ أمون » لم يسمح بمزاولة الأعمال الحفرية في وادي الملوك الذي يحتضن معظم المقابر والآثار الفرعونية .

مَعبدُ الكَرْنك

وهو من أهم مصادر مصر التاريخية ، واقدم معالمها الأثرية واقواها تعبيراً واعمقها اثراً في نفس المشاهد.وهو معبد ضخم ، مرتفع الجدران ، عالي الأعمدة ، واسع الابهاء ، طويل الدهاليز . و « الكرنك » اسم كان يطلق على قرية صغيرة هي « أبت اسوت » وهي التي يوجد فيها الآن معبد « آمون » ، الضخم الشهير وهذه القرية جزء من المدينة الكبيرة « طيبة » التي كانت عاصمة مصر في العهد الماضي .

واذا حاولنا ان نتعرف الى تاريخ الكرنك الذي لعب في يوم من الأيام دوراً هاماً في تاريخ مصر القديم فانه لا بد لنا من معرفة الدوافع وراء بنائه ، والظروف التي ادخلت عليه بعض الزيادات ، ومراحل التطور ، والظروف السياسية والعسكرية والكهنوتية التي مر بها .

وبالرغم من ان اقليم « طيبة » لم يلعب دوراً سياسياً هاماً في عصر الأسر الأولى ، فاننا نرى ان شعار الاقليم قد ظهر كثيراً في الآثار التي اكتشفت في معبد الملك « منقرع » رابع ملوك الأسرة الرابعة .

ويظهر ان عقيدة «آمون » بدأت في الانتشار ، في بداية ظهور الدين الجديد للمعبود آمون الذي انتشر انتشاراً واسعاً في اقليم « طيبة » .

ولما اسس الملك « امنحوتب الأول » الأسرة الثانية عشرة ، واستقرت له الأمور ، بدأ في بناء معبد « الكرنك » ، ولكنها كانت بداية قلقة مضطربة ، ثم اعتلى العرش بعده « الملك سيزوستريس » ، فأمر بتشييد معبد ضخم عثر على اطلاله داخل نطاق منطقة معبد « آمون » .

ومن أجمل الأبنية التي شيدت في ذلك العصر مقصورة كان « سيزوستريس الأول » قد أمر ببنائها ، ولكن الملك « امنيوفيس الثالث »

هدمها ، واستعملت احجار بنائها في تشييد البهو الثالث من معبد « آمون » . وبقيت المقصورة مهدمة حتى حضر الى مصر عالم الاثار الفرنسي « ﻫ . شفرير » عام ١٩٣٧ ميلادية ، فأعاد بناءها شمالي المعبد الكبير .

وفي المرحلة الانتقالية الثانية ، قبل الدولة الحديثة ، كان امراء « طيبة » قد بدأوا في محاربة الهكسوس واستطاعوا ان يهزموهم ويجلوهم عن الأقليم ، وان يتفرغوا لتوسيع معبد « آمون » وقد ألحقوا به كثيراً من الأبنية ، وأقاموا فيه بعض النصب التذكارية التي أمكن العثور عليها حديثاً اثناء عمليات الحفر والتنقيب .

• • • •

لقد شهد معبد « الكرنك » عصره الذهبي في عهد المملكة الحديثة ، حين أصبحت « طيبة » عاصمة لمصر في عهد الأسرة الثامنة عشرة . ففي ذلك العهد ، نما بناء المعبد واتسع حتى كان مجموع البناء ثلاثة ابنية كبرى منفصل كل منها عن الآخر ، ويحيط بها سور مرتفع من الآجر .

ومن المباني التي أمر « تحتمس الأول » بتشييدها داخل بناء معبد « آمون » مكان يتكون من ثلاث صالات . وتعرف هذه الصالات الثلاث بالصالات الرابعة والخامسة والسادسة ، وتؤدي جميعها الى داخل معبد آمون الكبير . ثم أمر بعد ذلك بانشاء مسلتين عند الصالة الرابعة ، وهي الصالة التي كان يسلكها الملك في الدخول الى المعبد .

ولما تولى « تحتمس الثاني » مقاليد الحكم ، أمر بحفر اسمه على جدران المباني التي شيدتها الملكة « حتشبسوت » في منطقة المعبد الكبير ، ومع ان هذه الظاهرة قد توحي باهتمام « تحتمس الثاني » بمعبد الكرنك ، الا انه لم يثبت في مخطوطات عديدة انه كان من اتباع عقيدة « آمون » .

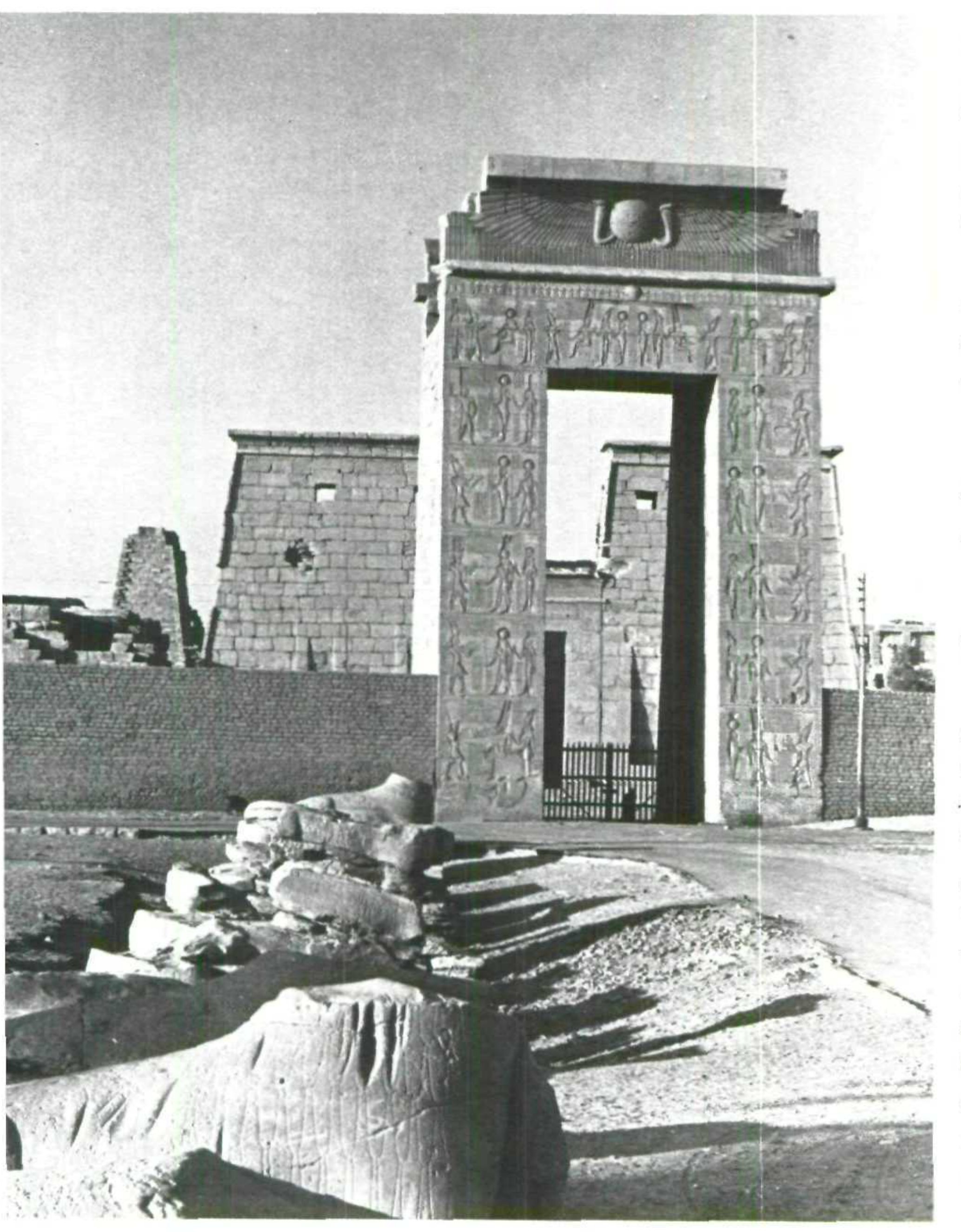
وكانت « حتشبسوت » ملكة قوية الشخصية فأمرت بتشييد كثير من الأبنية بالقرب من المعبد الكبير ، بالاضافة الى ما امرت بادخاله من الزيادات في معبد آمون نفسه ، فأمرت ببناء بهو لمراكب الشمس واختارت له الجزء الأوسط من معبد تحتمس الأول ، ثم أمرت ببناء عدد من الغرف على كل من جانبيه وهي ما تسمى الآن « بشق الملكات » . وقد أقامت « حتشبسوت » الى جانب ذلك اربع مسلات ، اثنتان منها بين الصالتين الرابعة والخامسة ، والاخريان عند الجدار الشرقي للبهو .

وعرف « تحتمس الثاني » بطموحه في توسيع حدود مملكته الى اكبر حد ممكن ، ولم يكن نشاطه المعماري بأقل من ذلك . . فقد انهى بناء معبد « آمون » على مستوى واسع ، واضاف اليه بهواً رائعاً به عدة غرف وردهات صغيرة للمتعبدين . وقد أهدى هذا كله الى المعبود « آمون » ، ولكنه ذهب الى حد المبالغة في التعبير عن حبه لنفسه ، بعد ان ساءت العلاقة بينه وبين عمته الملكة « حتشبسوت » . وهناك كثير من الشواهد في معبد « الكرنك » واقليم « طيبة » ، تدل على برودة احساسه تجاه عمته ، وقد عثر المنقبون على بقايا سجلات تصف تاريخه وحروبه والأحداث التي وقعت في عهده . وكان تحتمس الثاني يحرص دائماً على ان يبرز في مخطوطاته وسجلاته على جدران معبد « آمون » ، انه ملك مصر المحبوب .

• • • •

تقلد مقاليد الحكم بعد ذلك الملك « امينوفيس الرابع » الذي اشتهر في التاريخ الفرعوني بحركته الدينية ودعوته الى عبادة الاله الواحد الذي سماه « آتون » ، وهكذا غيّر اسمه واطلق على نفسه اسم « اخناتون » .

وقد أعقب حركته الدينية تغيير اقامته في « طيبة » الموطن الأصلي لآمون ، وانتقل الى تل العمارنة وهو المكان الذي اختاره عاصمة



المدخل البحري لمعبد الكرنك وقد ازدانت واجهته بالنقوش الفرعونية القديمة .

لمملكته وبنى لـ «اتون» معبداً جديداً ، لم يدم طويلاً ، اذ هدمه بعد موته كهنة «آمون» الذين استعادوا السلطة مرة اخرى .

وقد اثبتت الحفريات وجود معبد «آتون» ، بل وحددت مكانه وعثرت على تمثال الملك «اخناتون» وهو تمثال ضخم يستند الى اعمدة المعبد ، كما عثرت على اثار اخرى ترجع الى عهده أمكن التعرف اليها من خلال نقوشها التي تتميز باسلوب فن العمارة .

تولى الحكم بعد «اخناتون» ابنه الملك «توت عنخ آمون» . واذا درسنا آثار هذا الأخير وعصره ، فاننا نجد انه بالرغم من كونه شاباً صغير السن ، ضعيف البنية ، وما خلفته حركة «اخناتون» من انقسام وعداوات ، قد جعل مهمة تنظيم البلاد داخلياً امراً غير يسير ، وان الأمر كان يحتاج الى شخص قوي حازم لاصلاح كل ما فسد . ولكن «توت عنخ آمون» كان صغير السن لم يتجاوز التاسعة من عمره ، وكانت الأمور بيد كهنة آمون الذين اخذتهم نشوة النصر واستبدت بهم . .

ولكن مع هذا كله ، ظل الفن في ازدهار مطرد وساهم «توت عنخ آمون» ببعض الأبنية في منطقة «الكرنك» واهداها الى معبد «امون» ليس تعبيراً عن ايمان بعقيدة آمون ، وانما لتخليص نفسه من اتهامات الكهنة له باخلاصه لـ «آتون» الذي دعا اليه ابوه من قبل .

ومات «توت عنخ آمون» وهو في ريعان الشباب اذ لم يكن قد تجاوز العشرين من عمره ، ودفن في قبر صغير ربما كان قد أعدوه لغيره ، وملأوا حجراته الأربع ، وكدسوا فيها الأثاث ، وما اعتادوا وضعه مع رفات الملوك ، ولونوا بعض الجدران على وجه السرعة .

ونحن اذ نقف اليوم على هذا القبر الصغير تستولي علينا الدهشة ، ونسائل انفسنا ، كيف اتسعت هذه المساحة لما نراه في قاعات المتحف المصري من آثار كثيرة، وكيف يتلاءم هذا القبر المتواضع مع ذلك الأثاث الفخم الكبير ، ويبدو ان الملك «توت عنخ امون» لم يكن قد اعد لنفسه قبراً ، فلما مات في هذه السن المبكرة وضعوا مع رفاته الى جانب بعض الأثاث الشيء الكثير من المتاع الشخصي في ذلك القبر غير الملائم .

وعندما كشف عن قبر «توت عنخ آمون» وجدت باقة زهر صغيرة وضعتها الملكة الشابة الحزينة بيدها فوق صندوق المومياء الذهبي ، فكانت تحية وداع لزوجها ورفيق صباها الذي تركها الى العالم الآخر. ودام حكم «توت عنخ آمون» نحو عشر سنوات ، عاش السبع الأخيرة منها في «طيبة» ومات دون ان يكون له ولد من بعده ، ولم يتجه الكهنة الى امير من امراء العائلة ، بل وصل الى العرش رجل غريب عن البيت المالك وهو «آي» الذي لعب دوراً كبيراً اثناء حياة «اخناتون» ، وكان المدبر لانتقال «توت عنخ آمون» الى طيبة ، وصاحب الرأي الأول في البلاد .

تزوج «آي» من الملكة «عنخس آن» زوجة «توت عنخ آمون» ، ولم يدم حكمه أكثر من ثلاث سنوات شيد خلالها بعض المباني كان اهمها هيكله الواقع في جبل مدينة «أخميم».

سيتي الأول

ليس هناك اي شك ، في ان اهم الأبنية المعمارية في منطقة الكرنك ، هو صالة الأعمدة الشهيرة التي بناها الملك «سيتي الأول» وأكملها فيما بعد «رمسيس الثاني» ، وهي تقع بين الصالتين الثانية والثالثة،ويتصل بالصالة الوسطى من جانبيها الشرقي والغربي صفان من الأعمدة يتكون كل منهما من سبعة أعمدة ، وفي المنطقة العليا لمراكب الشمس توجد عدة نوافذ مزودة بأعمدة من الحجارة ، كما ان

بقايا أحد المعابد الأثرية التي تضمها مدينة الأقصر .

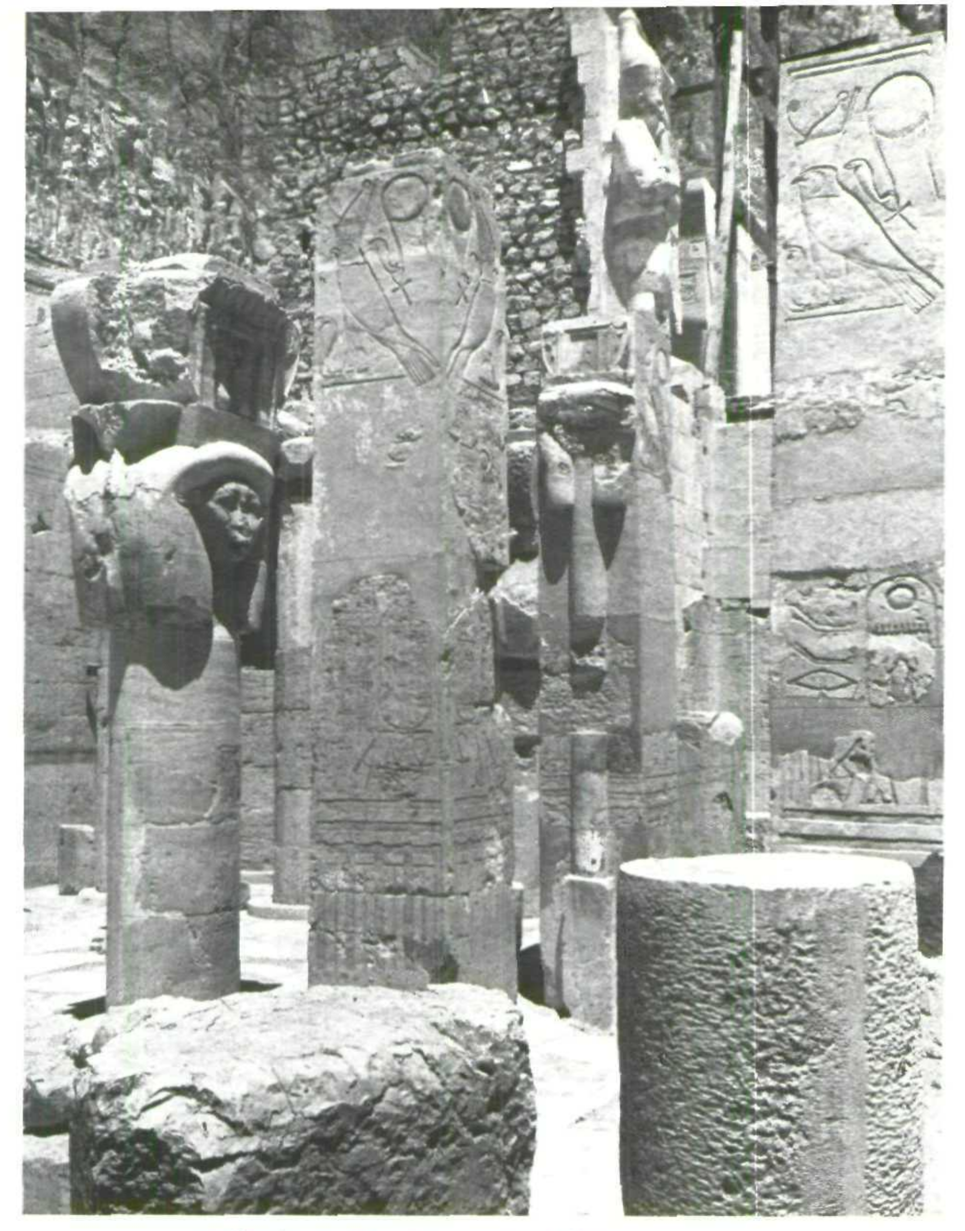


بعض المعالم الأثرية التي خلفها المصريون القدماء في مدينة الأقصر التاريخية .

هناك فتحات اخرى تساعد على ادخال الضوء الى الصالة . والنقوش والمخطوطات المنحوتة على الجدران الداخلية والخارجية للبهو ، يمكن قراءتها وهي سجل لأعمال « سيتي الأول » ، خصوصاً الحربية منها ، وانتصاراته في سوريا وفلسطين وليبيا ، كما وان هناك بجوار ذلك ، مخطوطات اخرى تسجل انتصارات « رمسيس الثاني » على شعوب البحر الأبيض المتوسط وقد أمر « رمسيس الثاني » باقامة تمثالين كبيرين له امام البهو الثاني من حجر البازلت ، كما أمر بتزيين الدهليز الممتد أمام هذا البهو بالنقوش والخطوط ، ثم بنى طريق الكباش الموصل الى المعبد من ضفاف النيل ، أما الصالة التاسعة فقد وضع امامها تمثالين كبيرين له ولزوجته الملكة « نفرتاي » .

وخلف « رمسيس الثاني » على عرش مصر الملك « منربتاح » وقد ترك هذا الملك كثيراً من الآثار في منطقة الكرنك ، وهي جميعها تحمل اسمه ، ومن أهمها تلك المخطوطات المحفورة على جدران الصحن الشرقي والتي سجلت انتصاراته على ليبيا وشعوب البحر الأبيض المتوسط . اما « سيتي الثاني » آخر ملوك الأسرة التاسعة عشرة ، فقد أمر ببناء صالة أمام معبد « موت » ، وصالة اخرى امام معبد « آمون » الكبير بالكرنك .

وقد ساهم ملوك الأسرة العشرين بأبنية كهنوتية في منطقة الكرنك ووهبوها لمعبد « امون » ولكن أبرز الأعمال المعمارية التي تنتسب الى هذه الأسرة ترجع الى عهد « رمسيس الثالث » .



جزء من معبد الملكة حتشبسوت بالدير البحري في الكرنك .

حكم الملوك الكهنة

بعد ان انطوت صفحة الأسرة العشرين استولى كهنة معبد « آمون » على ملك مصر ، وهكذا كان ملوك مصر ابتداء من الأسرة الحادية والعشرين من الكهنة . وقد قاموا بتسجيل اسمائهم على جدران المباني التي بناها ملوك الأسر السابقة في منطقة الكرنك لمعبد « آمون » اما هم أنفسهم ، فلم يقيموا بناءاً واحداً ولم يسهموا بعمل معماري واحد ، ولكن علماء الآثار المصرية استطاعوا ان يقفوا على هذه الحقيقة وتأكدوا من مغالطات الملوك الكهنة وتضليلهم .

أما ملوك الأسرة الثانية والعشرين ، فقد اثبتوا وجودهم في الكرنك ببناء بوابة ضخمة في الزاوية الجنوبية الشرقية للصحن الأول من معبد « آمون » بين معبد « رمسيس الثاني » والبهو الثاني .

عهد الإسكندر الأكبر

من المعروف ان الاسكندر الأكبر ، بعد ان فتح مصر ، لم يتوجه فقط الى كهنة « آمون » في واحة « سيوه » بل أعلن أيضاً ارتباطه بمعبد « الكرنك » ، وقد احدث الاسكندر الأكبر بعض التغييرات المعمارية في الصالة الخلفية التي بناها « تحتمس الثالث » والتي نالت منها ايدي الأشوريين من التخريب اكثر من غيرها من ابنية معبد « آمون » وقد شملت هـذه التغييرات بعض المخطوطات والنقوش التي أمـر بحفرها على جـدران المعبد ، والتي كانت بمثابة التعابير الدينية القديمة .

ولما ورث البطالسة حكم مصر بعد موت الاسكندر الأكبر بنى « فيليب ارهيديدس » عند مركز معبد « آمون » الكبير وتحت مباني الملكة « حتشبسوت » مقصورة كبيرة من حجر البازلت ، لتأدية الطقوس الدينية .

ومع ان اهل « طيبة » ومنطقة « الكرنك » ثاروا ثلاث مرات متوالية ضد حكم البطالسة ، الا ان ثوراتهم جميعها لم تأت بأية ثمرة ، فقد استطاع البطالسة ان يقنعوا المصريين بأنهم ليسوا دخلاء عليهم ، ولكنهم من سلالة الفراعنة ، وقد لجأوا ، كما فعل النوبيون من قبل ، الى المبالغة في تقديس « آمون » ، واقاموا له كثيراً من الأبنية بجوار معبده ، هذا بالاضافة الى النقوش والمخطوطات التي امروا بحفرها على جدران المعبد القديم .

العصر القبطي والبيزنطي

عندما فتح « اوكتافيان — أغسطس » مصر سجل اسمه على جدران معبد الكرنك ، كما فعل الاسكندر الأكبر من قبل ، واعترف



نموذج للرسوم والأشكال والكتابة الهيروغليفية التي تزدان بها معابد الكرنك الأثرية .



بهو لاحدى المقابر التي شيدها المصريون القدماء لملوكهم وقد بدت واجهاته مزدانة بالرسوم والنقوش المعبرة .

به كهنة آمون على انه «ابن المعبود» ، ولهذا سمح له باقامة تمثال له في داخل المعبد .

ومنذ نهاية القرن الرابع الميلادي ، كانت المسيحية قد وجدت طريقها الى مصر وانتشرت في اقليم « طيبة » انتشاراً واسعاً ، واعتنقها كثير من أهل الاقليم ، بل ان كثيراً من كهنة « آمون » انفسهم تخلوا عن دينهم القديم واعتنقوا المسيحية ، وشرعوا في تحطيم التماثيل والصور والمخطوطات التي تمجد الوثنية وترمز لها ، وافنوا كثيراً من النقوش الوثنية على جدران المعبد الذي قلت قيمته وفقد هيبته في اعين العامة من المصريين . ثم زحفوا الى المنطقة التي كانت يوماً مقدسة في اعينهم وسكنوها وبنوا بها منازلهم ولم تتوقف في هذه الفترة اعمال البناء لمعبد « آمون » فحسب ، بل وان كثيراً ممن اعتنقوا المسيحية دخلوا المعابد وحولوها الى كنائس لممارسة الطقوس الدينية فيها .

الرهبانية في الدين المسيحي

لقد حوت تعاليم المسيحية كثيراً من بذور الزهد والرغبة عن الدنيا ، مما يعتبر نواة لحياة الرهبانية والديرية في الديانة المسيحية ، ففي هذا العهد الجديد انتشرت حياة الرهبانية واصبحت شيئاً مألوفاً في العالم المسيحي قبل القرن الرابع للميلاد .

وكانت هناك عدة عوامل ساعدت على انتشار حياة الرهبانية بين المسيحيين في ذلك الوقت ، اهمها ما تعرضوا له من اضطهادات وحشية من جانب الحكومة وعملائها في الولايات وهي الاضطهادات التي بلغت ذروتها في عصر الامبراطور « دقلديانوس » والتي جعلت المسيحيين يطلقون على الفترة الأخيرة من حكمه اسم « عصر الشهداء » . كما اتخذ اقباط مصر سنة اعتلائه العرش عام ٢٨٤ ميلادية بداية التقويم القبطي . وهكذا اضطر كثير من المسيحيين الى الفرار بعيداً عن اعين الحكام لينقطعوا لمباشرة طقوس ديانتهم الجديدة في امان وسلام .

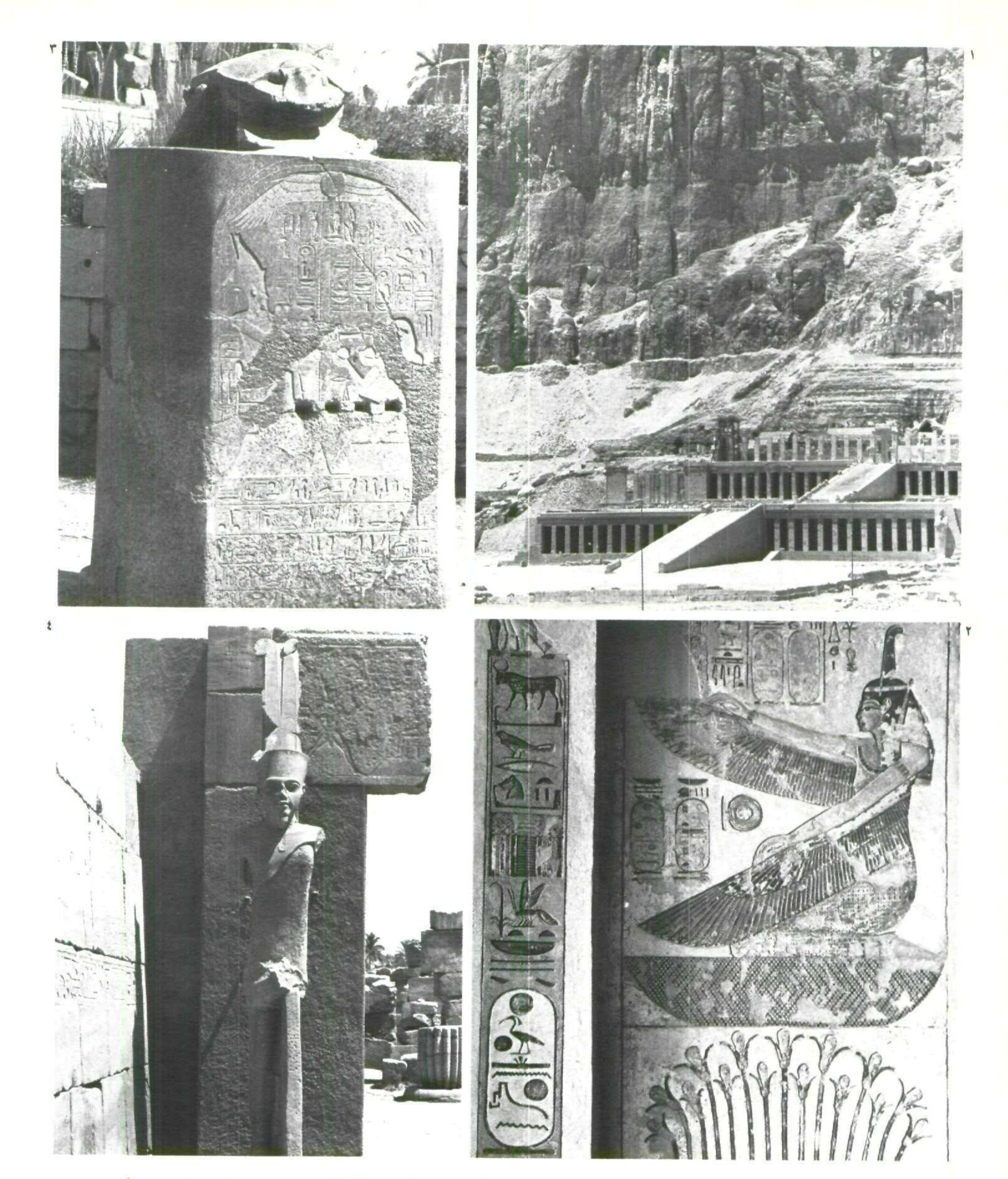
وفي أوائل القرن الرابع للميلاد ، وجد بعض المسيحيين فجوة واسعة بين تعاليم المسيحية وروحها وبساطتها ومثلها من ناحية ، وبين المجتمع الروماني المحيط بهم . والذي اتصف عندئذ بالانحلال والفساد والجشع من ناحية أخرى ، مما جعلهم يطمعون في حياة جديدة يحققون في ظلها المثل الروحية للديانة المسيحية . اذا اضفنا ذلك ، الى رغبة المسيحيين في الخلاص من العذاب الوحشي الذي تعرضوا له في عصور الاضطهاد ، ادركنا في نهاية الأمر العوامل الأساسية التي ساعدت على ظهور الرهبانية في المسيحية .

وحياة الرهبانية بدأت لأول مرة في أرض مصر بالذات ، وذلك باجماع اراء المؤرخين ، ولا ندري بالضبط السبب في ظهور الرهبانية المسيحية في مصر قبل غيرها من البلاد الأخرى التي عرفت المسيحية ووجدت فيها جاليات مسيحية في وقت مبكر .

ويبدو ان جو مصر المعتدل من ناحية وكونها جزءاً اساسياً من المسرح الأول للديانة المسيحية من ناحية ثانية ، وتعرض المسيحيين لموجة من اعنف موجات الاضطهاد الديني التي شهدها العالم في أواخر القرن الثالث وأوائل الرابع من ناحية ثالثة ، كل هذه وغيرها كانت ، ولا شك ، من العوامل الرئيسية التي مهدت الطريق أمام ظهور الرهبانية .

حملة نابليون بونابرت

كانت حملة « نابليون بونابرت » على مصر نقطة انطلاق جديدة في اعمال البحث عن آثار الكرنك ، فقد سارت أعمال البحث منذ تلك الفترة طبق خطة منظمة ، ووزعت الأعمال على علماء الآثار وكان من أنشطهم واكثرهم حماساً ، العالم الفرنسي « جيوفاني بلزوني » الذي اوقف أبحاثه للعثور على اثار « طيبة » و « الكرنك » واستمرت اعمال البحث حتى منتصف القرن التاسع عشر ، حين تولى العالمان الأثريان الفرنسيان « مريت » و «ماسبيرو» ادارة الاثار المصرية في اقليم « طيبة » ، فوضعا خطة أخرى أكثر احكاماً من الأولى اتت بنتائج طيبة ، حتى انه يمكن القول بأن اعمال البحث عن اثار « الكرنك » ، قد بدأت فعلاً منذ ان تولى العالمان الفرنسيان ادارة الاثار



١ – احدى المقابر المحصنة التي شيدها المصريون القدماء لموتاهم وسط الصخور في مدينة الأقصر الأثرية . ٢ – بعض الرسوم التي زين بها المصريون القدماء جدران مدافن ملوكهم الواقعة في وادي الملوك القريب من معابد الكرنك . ٣ – أثر تاريخي تزينه الرسوم والنقوش والكتابة الهيروغليفية في معبد الكرنك الأثري . ٤ – نصب تذكاري لأحد ملوك مصر القدماء في الكرنك ، وهو مصنوع من حجر البازلت .

تصوير : خليل أبو النصر

المصرية ، ثم توالت بعثات علمية من دول اخرى غير فرنسا ، شاركت في اعمال البحث والتنقيب من بينها بولندا .

وفي وقت لاحق من عام ١٩٧٠ ، عثرت البعثة الفرنسية المصرية المشرفة على الحفائر والتنقيب داخل معبد « الكرنك » والمؤلفة من « جان لويتس لوفريه » و « بيير آنوس » و « رمضـــان سعد » ، عثرت بين الساحـــة الأولى التي تؤدي الى طريق الكباش في معبد الكرنك ، على تمثالين قابعين على هيئة (الكاتب الجالس القرفصاء) ، وقد نحتا من حجر الجرانيت الأسود ، واستطاعت البعثة اثبات شخصية صاحب التمثال الأول وهو الكاتب الأديب « منتوحتب » من الأسرة الثامنة عشرة ، أما التمثال الثاني فلم يجدوا عليه الا رمز الكتابة (سشت) .

وبهذا الاكتشاف الجديد استطاع العالم كله ان يعرف الكثير عن تاريخ الكرنك ومعبد آمون .

انطباعات مفتش الآثار

في خلال الفترة التي كنت أعمل فيها مفتشاً للاثار ، عثر على كل القبور المدفونة في بطن الوادي .

لقد حدثت الاكتشافات في وادي الملوك فجأة ، اذ حدث ان تكشفت فوهة احدى المقابر عن مجموعة من الدرجات المنحوتة في الصخر تؤدي الى باب يسده جدار سميك من الأحجار الضخمة ، توجد في الجزء الأعلى منه ثغرة كبيرة تكفي للسماح لنا بالقاء نظرة على ردهة تنحدر في ميل شديد نحو صالة كبيرة مظلمة . ولم نستطع ان نرى أكثر من باب اخر مسدود في القاع ، ففتحنا فجوة للدخول منها ، وهناك وجدنا ثغرة أخرى استطعنا ان نرى من خلالها غرفة صغيرة تكدس فيها كثير من الأثاث الفاخر المغطى بالذهب المصقول حتى السقف .

وفي تلك الليلة توليت بنفسي حراسة المكان عند فتحة المقبرة ، وقد استولت علي يومئذ حالة من الذعر الشديد لم اشعر بمثلها في حياتي .

وفي صباح اليوم التالي ، عندما اجتمع فريقنا ، رفعنا الأحجار الضخمة عن الجدران لنشق لأنفسنا ثغرة للدخول ، وكان هدفنا الأول ان ننظر الى النقوش التي كتبت باللغة الهيروغليفية على جانبي الضريح لنعرف اسم صاحب المقبرة التي اكتشفناها ، وقد قرأنا بين هذه النقوش اسم الأمير « يوا » وزوجته الأميرة « تويو » وهما من الشخصيات التاريخية البارزة ، وهما والدا الملكة « تي » زوجة الملك « امينوفيس الثالث » ، وقد اتضح لأول وهلة ان لصوص المقابر قد سبقونا الى المقبرة . فقد رفعت أغطية التوابيت ونزعت الأربطة عن وجهي الجثتين لسرقة القلائد الذهبية من حولها ، كما وجدنا ما يدل على ان السرقة قد حدثت بعد الدفن مباشرة .

وعلى الرغم من الجو الرهيب الذي يحيط بنا في المكان . فانني لم استطع ان ارفع عيني عن وجه الأمير « يوا » الذي كان يرقد اشبه بكهل نائم ، وقد استرسل شعره الأبيض الى الوراء من جبهته المليئة بالغضون والتجعدات ، بينما أغمضت عيناه وبدا من تحتهما انفه الكبير ، وشبح ابتسامة باهتة على شفتيه ، وعلى ذقنه بعض شعيرات قليلة لم تحلق مما يدل على انه كان مريضاً في يومه الأخير .

ورفعت مصباحي فوق وجهه الذي كانت تبدو عليه علائم الشيخوخة ، وارتعشت يدي فأخذت ظلال الضوء تهتز تحت جفونه ، فتراجعت الى الوراء ، وقد خيل الي انه يوشك ان يفتح عينيه .

ومع ان وجه الأميرة « تويو » لم يكن له مثل هذه الروعة ، فقد كان محنطاً بعناية ، وقد بدا شعرها الأشهب ومظاهر القلق تعلو قسمات وجهها . وانني لأذكر خصلة شعر تموجت أطرافها بأناقة على وجهها ، وكأن موجة « البرماننت » لم تذهب عنها بعد ، على الرغم من ان صاحبتها عاشت منذ خمسة آلاف عام .

وكانت الأشياء التي وضعت في هذه المقبرة مختلفة الطابع ، ففي احدى اركان الغرفة تقف عربة الأميرة والى جوارها سريران مريحان من الابنوس الأسود اللامع عليها حشيات من الحبال المجدولة ، وهناك اربعة مقاعد ، بينها مقعد ثمين من الابنوس قدم هدية من بنات الملكة « تي » والملك « امينوفيس » كما تدل على ذلك الكتابات الهيروغليفية الموجودة على الجدران . كما كانت هناك صناديق وموائد ووسائد ناعمة ، وأواني فخارية للزهور ، وأدوات للمطبخ ، وكلها منتشرة في انحاء الغرفة ، وكان فوق احدى الموائد اناء كبير من المرمر يحوي سائلاً كثيفاً ظننا انه عسل ، ثم تبين انه زيت خروع .

وتحتوي المقبرة أيضاً على توابيت حجرية متوسطة الحجم تضم مومياءات لبعض الحيوانات التي كانت مقدسة لديهم وبجانبها اواني مختلفة الأشكال ، وابرتان رفيعتان من العظم ، وحلي وخواتم من الذهب الخالص ، واقنعة من الجبس المذهب ومجموعة كبيرة من الخرز الملون ، ولوح كبير من الحجر الجيري مسجل عليه قصة طريفة عن صاحب المقبرة ملخصها انه كانت هناك عادة اتبعها كهنة « آمون » وذلك عندمـــا كانوا يضيقون ذرعـــاً بأحد الحكام ويستشعرون منه عدم خضوعه لامرتهم او خروجاً عن ارادتهم ، واعتاد الكهنة في مثل هذه الحالات ان يرسلوا الى ذلك الحاكم رسولاً منهم يخبره ان ارادة المعبود تحتم عليه قتل نفسه وقد لاقى كثير من الحكام حتفهم بهذه الطريقة ، معتقدين انهم يؤدون عملاً دينياً عظيماً يتقربون به الى معبودهم ويبدو ان الكهنة حاولوا تنفيذ هذه السياسة مع الأمير ولكنه استعمل طريقة اخرى للرد عليهم ، فوجه اليهم حملة انتقامية قتلت منهم عدداً كبيراً .

وفي غرفة جانبية من المقبرة وجدنا جثث بعض الحيوانات كالخيل والثيران والأغنام والجمال وعليها سروجها وزينتها التي كانت تصنع من الفضة او من النحاس ، أما الأقمشة التي كسيت بها سروج الخيول والجمال فقد اتسمت بالوان زاهية وصنعة دقيقة .

وفي العام التالي اكتشفنا مقبرة اخرى مماثلة لمقبرة الملكة « تي » ، وكان التابوت اكبر حجماً وأكثر بهاء وروعة ، وقد صنع من الذهب المرصع بالأحجار الكريمة ، بينما احيطت مومياء الملكة برقائق من الذهب الخالص ، وعلى مقربة من فتحة المقبرة ، اكتشفنا غرفة صغيرة اخرى منحوتة في الصخر ، وقد دفن فيها كلب وقرد الملكة « تي » .

وهكذا رحنا نواصل ابحاثنا شتاء بعد آخر الى ان عثرنا على مقبرة تحتوي على توابيت من العصر اليوناني وكانت مصنوعة من اوراق البردي وبتفكيك اجزاء هذه التوابيت وضم أجزاء الورق جنباً الى جنب ، استطعنا ان نجمع مجلداً بعد آخر من الرسائل الخاصة والوثائق والقطع الأدبية ذات القيمة التاريخية . وقد قمنا بنقل عدد غير قليل من الوثائق التاريخية واللوحات والنقوش المسيحية المنحوتة في الصخر على جانبي المقبرة الى المتحف القبطي بالقاهرة لحفظها من لصوص المقابر ■

محمد زكي راغب — القاهرة

اخبار الكتب

✽ كانت فجيعة الأدب العربي في عميده الدكتور طه حسين باعثة على صدور دراسات متلاحقة عن حياته وأدبه والجوانب المختلفة لشخصيته الفريدة . وكان أحدث كتاب صدر عنه دراسة عنوانها « طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية في أدبه » وهو من تأليف البحاثة الأستاذ كمال ثابت قلته وطبع بمصر .

✽ مجموعة نفيسة من الدراسات الأدبية صدرت أخيرا منها « العربية بين اللغات العالمية الكبرى » للعلامة المجمعي الدكتور ابراهيم بيومي مدكور طبع مصر ، و « تنمية اللغة العربية في العصر الحديث » للدكتور ابراهيم السامرائي ونشر معهد البحوث والدراسات العربية ، و « نظرات في منجد الآداب والعلوم » للعلامة المغربي الأستاذ عبد الله كنون وهو استدراكات على معجم « المنجد » ، وقد نشرت عن معهد البحوث والدراسات العربية ، و « أعلام الجيل الأول من شعراء العربية في القرن العشرين » للعلامة الأستاذ أنيس المقدسي وقد صدر في بيروت ، والمجلد الأول من « تاريخ الأدب العربي » للمستشرق بلاشير وترجمة الدكتور ابراهيم الكيلاني ونشر دمشق . و « تاريخ صيدنايا = رحلة ودراسة » للعلامة الراحل عيسى اسكندر المعلوف بمقدمة لنجله الأستاذ رياض المعلوف وقد صدر عن مطبعة دار أفرام في لبنان ، و « الرواية في العراق : تطورها وأثر الفكر فيها » للدكتور يوسف عز الدين ونشر معهد البحوث والدراسات العربية .

✽ من الكتب الجديدة التي أضيفت الى مكتبة التراث « كتاب اللامات » لأبي الحسين أحمد ابن فارس وهو كتاب عن الاستعمالات اللغوية المختلفة لحرف اللام حققه الدكتور شاكر الفحام ونشره مجمع اللغة العربية بدمشق ، و « طبقات الحفاظ » للامام السيوطي وقد حققه الأستاذ علي عمر ونشرته مكتبة وهبة ، و « زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء » لأبي البركات بن الأنباري وقد حققه الدكتور رمضان عبد التواب ونشره في بيروت .

✽ طائفة جديدة من كتب الدراسات الدينية صدرت مؤخرا منها « ألف كلمة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب » للأستاذ يونس السامرائي طبع بغداد ، و « الاسلام قوة الغد العالمية » للدكتور محمد شامة ونشر مكتبة وهبة ، و « القرآن والتفسير » للدكتور عبد الله محمود شحاته نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، و « الاسلام في حضارته ونظمه » للأستاذ أنور الرفاعي وطبع دمشق ، و « من وحي الحرمين » للدكتور مصطفى الديواني ونشر دار الشعب ، و « الاسلام في عصر العلم » للدكتور محمد أحمد الغمراوي ونشر دار الانسان بالدقي ، و « الدعائم الخلقية للقوانين الشرعية » للدكتور صبحي المحمصاني ونشر دار العلم للملايين . و « سيد شباب أهل الجنة » للأستاذ حسين محمد يوسف ونشر دار الشعب .

كما صدر كتابان عن العصور الاسلامية هما : « المغرب الكبير — العصر الاسلامي » للدكتور السيد عبد العزيز سالم ونشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، و « تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام » للدكتورين أحمد مختار العبادي والسيد عبد العزيز سالم ونشر جامعة بيروت العربية .

✽ صدر في الرياض كتاب جليل بعنوان « سيد قطب وتراثه الأدبي والفكري » من تأليف الأستاذ ابراهيم بن عبد الرحمن البليهي .

ومن كتب السيرة التي صدرت أخيرا « خليل مطران شاعر الأقطار العربية » للأستاذ فوزي عطوى وتقديم الاستاذ صالح جودت ونشر دار الهلال . و « الحكيم بخيلا » وهو كتاب عن حياة توفيق الحكيم وما أثر عنه من قبض اليد . وهو من تأليف الأستاذ كمال الملاخ ونشر المكتب المصري الحديث . و « أبو مدين الغوث » للدكتور عبد الحليم محمود ونشر دار الشعب . وكتاب عن المستشرق المعروف « ادوارد وليم لين » من تأليف الأستاذ عدلي طاهر نور وطبع مصر .

✽ دراسات هندسية جديدة صدرت مؤخرا منها « المنظور الهندسي » للدكتور يحيى حمودة ، و « المساحة المستوية والمائية » للدكتور علي سالم شكري ، و « التطبيقات الدقيقة للمساحة ونظرية الأخطاء » للدكتور شكري أيضا ، والكتب الثلاثة من نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب .

✽ كتابان جديدان في الفلسفة طبعا أخيرا هما « مدخل الى الفلسفة » للدكتور إمام عبد الفتاح امام نشر مصر ، و « قراءات في الفلسفة » للدكتورين علي سامي النشار ومحمد علي أبو ريان وهو من منشورات الهيئة المصرية .

✽ صدر للأستاذ محسن محمد كتاب عنوانه « التليفزيون » نشره المكتب المصري الحديث ، كما صدر في لبنان كتاب « الترانزستور للهواة — دراسة وتطبيق » للأستاذ ياسين خطاب .

✽ الشاعر المهجري الأستاذ برناردس القزي صدر له ديوان جديد عنوانه « أطايب شعرية » طبع في مطبعة المراحل بسان باولو .

✽ ومن الدواوين الجديدة « ضحايا » للأستاذ خليل جعلوك . و « عزف منفرد أمام مدخل الحديقة » للأستاذ محمد يوسف ، و « عذابات الميلاد الثاني » للأستاذ جميل محمود عبد الرحمن .

✽ ترجمت الى اللغة الاسبانية أخيرا رواية « بيت من وراء الحدود » تأليف الأديب الأردني الأستاذ عيسى الناعوري وقام بترجمتها جيزوس ريوز اليدو وصدرت عن البيت الاسباني العربي في مدريد بمقدمة ضافية للمترجم . كما صدرت ترجمة اسبانية لكتاب « المواكب » لجبران قام باعدادها يوسف الغريب ونشرت في الأرجنتين بمقدمة للسيد هكتور ميري .

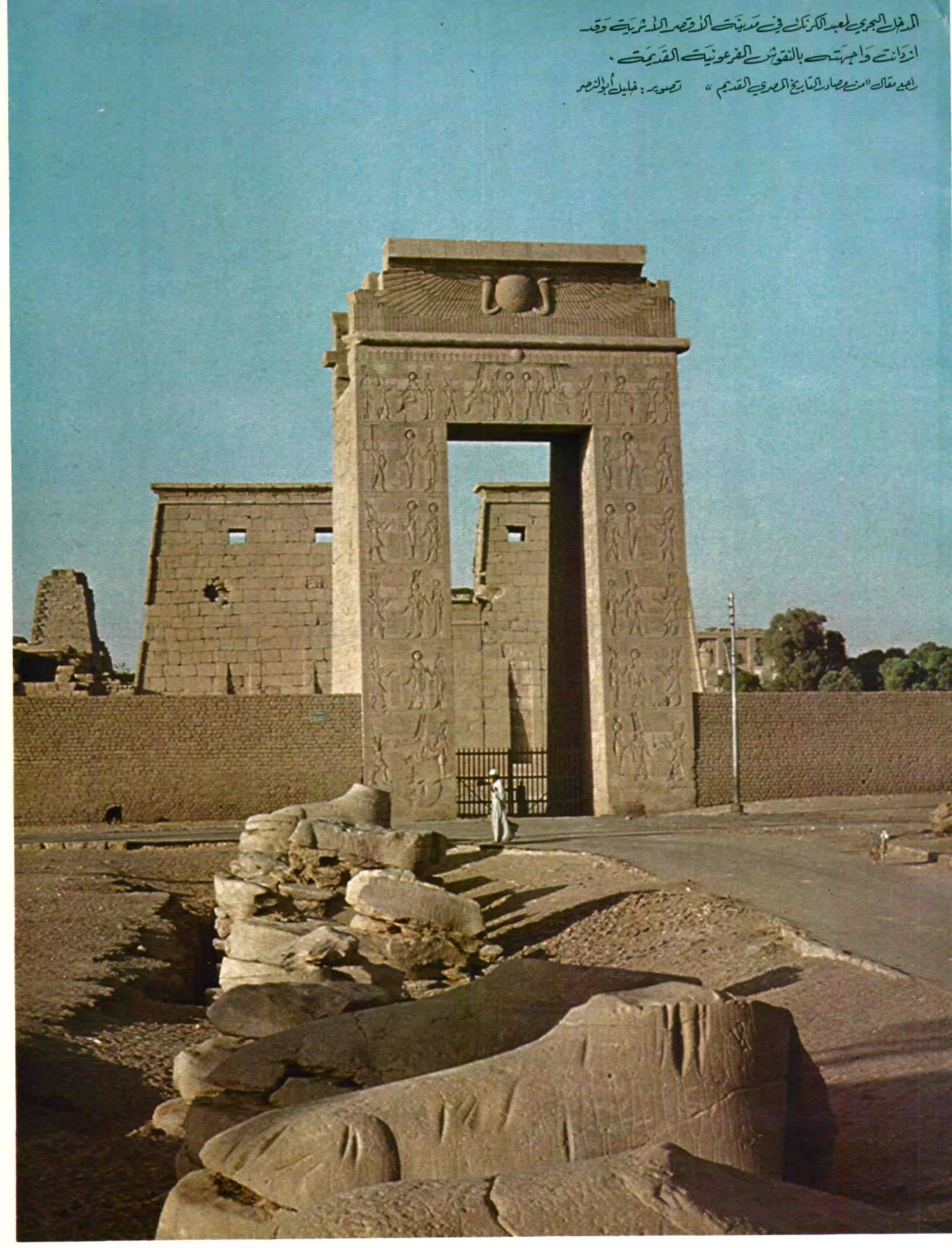
✽ من الروايات البولوسية لأجاثا كريستي التي نشرتها دار الكتاب الجديد « جثة في المكتبة » وقد ترجمها الأستاذ محمد حلمي شاهين ، و « العميل رقم ١٦ » وترجمها الأستاذ محمد عبد المنعم جلال .

وفي الأدب الروائي صدرت قصة طويلة عنوانها « عيناك خضراوان » للسيدة هدى جاد نشر دار الهلال ، و « ابن أمية » وهي مسرحية للكاتب الاسباني مرتنيس دي لاروزا ترجمها الدكتور لطفي عبد البديع ونشرتها وزارة الارشاد في الكويت ، و « مسرحية وردة حمراء من أجلي » لشون أوكيسي وقد ترجمها الأستاذ محمد توفيق مصطفى ونشرتها الهيئة المصرية العامة ، و « لغز المليونير » لايرل ستانلي جاردنر وترجمة الأستاذ عبد الحميد عزت ونشر دار الكتاب الجديد ، وصدرت في مجلد واحد مسرحيتان للكاتب السوري الأستاذ جان ألكسان هما « قراءات على شاهدات مقبرة كفر قاسم » و « تشخيص في مدار المنصة » وقد نشرتهما وزارة الثقافة السورية . وصدرت من المسرح الأمريكي المعاصر مسرحيتان في مجلد واحد هما « الحلم الأمريكي » تأليف ألبي و « الطابعان على الآلة » تأليف شيزجال وقد ترجمتهما السيدة تماضر توفيق وقدم لهما الدكتور علي الراعي وراجعتهما الدكتورة وداد حماد ونشرتهما وزارة الأعلام في الكويت .

✽ « فضل الحضارة المصرية على العلوم » كتاب جديد صدر للدكتور مختار رسمي ناشد عن الهيئة المصرية العامة .

✽ ترجم الدكتور صلاح مخيمر والأستاذ عبده ميخائيل كتابين في علم النفس هما « خمس حالات في التحليل النفسي » لفرويد و « الأنا وميكانيزمات الدفاع » لأنا فرويد ، وقد راجعهما الدكتور مصطفى زيور ونشرتهما مكتبة الأنجلو المصرية .

✽ نظرية جديدة عنوانها « العكسية » بسطها مبتدعها الأستاذ السيد حامد جاد الكريم في كتاب صدر بهذا العنوان عن مركز التدريب المهني بالاسكندرية ■



المدخل البحري لمعبد الكرنك في مدينة الأقصر الأثرية وقد ازدانت واجهته بالنقوش الفرعونية القديمة.

راجع مقال «من مصادر التاريخ المصري القديم» تصوير : خليل أبو النصر

